

مجلة البحث العلمي الإسلامي

ترخيص من وزارة الإعلام رقم ٢٠٠٤/٣٦٤

مجلة إسلامية شهرية متخصصة تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية (تصدر كل ثلاثة أشهر مؤقتاً)

الحوالات المصرفية باسم

مجلة البحث العلمي الإسلامي

بنك البركة ـ لبنان ـ طرابلس

حساب رقم: ١٣٩٠٣

المراسلات: لبنان ـ طرابلس ص.ب ٢٠٨

تلفاكس: ٠٠٩٦١٦٤٧١٧٨٨

بريد إلكتروني:

albahs_alalmi@hotmail.com

للاشتراك في المجلة

يرجى إرسال طلب الاشتراك على عنوان المجلة، موضحاً عنوانك البريدي، مع إرسال قيمة الاشتراك على حساب المجلة وإشعارنا بذلك الطلب .



الاشتراك السنوي مضافاً إليه أجور البريد

لبنان ٢٥٠٠٠ل.ل ـ السعودية ٧٥ريالاً ـ الكويت ٧ دنانير ـ الإمارات ٧٥درهماً ـ الدول العربية ٢٠دولاراً أمريكياً ـ الدول الأجنبية ٣٠ دولاراً أمريكياً .



سعر النسخة

لبنان ٢٠٠٠ل.ل ـ السعودية ١٠ريالات الكويت ١ دينار ـ الإمارات ١٠دراهم الدول العربية ٣ دولارات أمريكية ـ الدول الأجنبية ٥ دولارات أمريكية .

شروط يجب أن تتوفر في البحث الذي يراد نشره في المجلة

إتاحة في الفرصة للمشاركة في الكتابة على صفحات المجلة، وللإفادة من أبحاث العلماء والباحثين، فإن إدارة المجلة ترحب بالمشاركة في مجلة البحث العلمي الإسلامي، وفق الشروط التالية:

❁ أن يكون البحث متخصصاً في مسألة من المسائل العلمية، أو قضية من القضايا الإسلامية النازلة.

❁ أن لا تقل عدد صفحات البحث عن ست، ولا تزيد على عشرين من حجم الورق (A4).

❁ أن يتسم البحث بالأسلوب العلمي النزيه الهادف، بعيداً عن المسائل السياسية، وأن لا يتعرض فيه لجهات، أو هيئات، أو أشخاص.

❁ يجب أن يكون البحث موثقاً بعزو المصادر، وتخريج الآيات والأحاديث

❁ أن يكون مطبوعاً على الآلة الكاتبة، أو الحاسوب (الكمبيوتر).

❁ أن يكون البحث جديداً غير منشور.

❁ إرفاق نسخة عن سيرة الباحث الذاتية، مع كتابة عنوانه بالتفصيل

ملاحظات

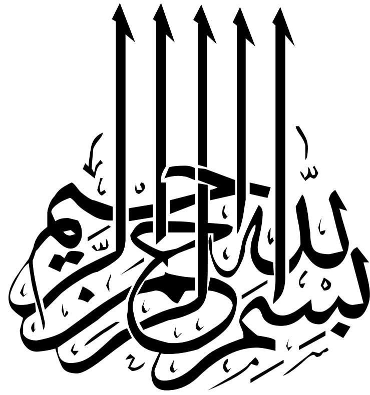
❁ لا يلزم من تسليم البحث وإيصاله إلى إدارة المجلة اعتماده ونشره.

❁ لا يدفع للباحث أي مبلغ مقابل نشر بحثه في المجلة.

❁ لا تلتزم إدارة المجلة بإعادة البحث الذي لم ينشر إلى كاتبه.

❁ إن نشر البحث في مجلة البحث العلمي، لا يعني بالضرورة تبنيه، ويبقى تعبيراً عن رأي كاتبه.

المحتويات





الفقه الفقه ... يا شباب الإسلام

بقلم هيئة التحرير

الحمد لله رب العالمين، الذي علَّم آدم وفهَّم سليمان، القائل لنبيه ﷺ: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمًا ﴾ [طه: ١١٤]

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، القائل: ((**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**))[١]

أما بعد، فإن الشباب في كل أمةٍ يمثلون عَصَبَها، ومصدر قوتها الحسيّة، متى استقاموا استقام أمر الأمة، وإذا انحرفوا انخرم جمع الأمة، وضعفت وحدتها، وتفككت حلقاتها المتصلة التي يجمعها عقدها، وأتاها عدوها من حيث لا تحتسب .

وإن من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى تسبب الشباب بضعف الأمة وفرط عقدها المتصل، عدم الفقه في الدين، فيأتيها عدوها من جهل أبنائها وشبابها، إما بحقيقة الدين ومصادره ومقاصده، وإما من الجهل بواجب العصر وفقه المرحلة . لذلك قال عمر ﷺ: (تفقهوا قبل أن تُسَوَّدوا)[٢] .

والفقه نوع خاص من العلم، يحمل في قالبه معنى الفهم، والفهم: حسن تصور المعنى[٣]، وهو من ثمار العلم الذي هو الإدراك[٤]، وينقسم إلى قسمين: تصور، وإسناد . فالتصور - هو إدراك الذوات المفردة - سابق على الإسناد - الذي هو التصديق - فمن تصور الشيء تصوّراً صحيحاً أمكنه أن يصدقه أو يكذبه . وعليه، فمن صدّق شيئاً مخالفاً للواقع، فلا بد أن يكون في تصوره خلل، وهو نقص الفهم الذي أدى إلى نقص الحقيقة عنده .

---

[١] رواه البخاري (٧١) وهو جزء من حديث .

[٢] رواه البخاري تعليقاً في باب (الاغتباط في العلم والحكمة) ووصله ابن أبي شيبة وقال الحافظ في الفتح (١/ ٢٠٠): إسناده صحيح .

[٣] المعجم الوسيط (٧٠٤) .

[٤] إدراك الشيء على ما هو به في الواقع إدراكاً جازماً .

من هنا، يتبين لنا أهمية الفهم، لاسيما في دين الله، فكل من ضلَّ في باب من أبواب العلم والدين، إنما أُتي من هذا القبيل، فالمعتزلة الذين عطَّلوا صفات الله، لم يفعلوا ذلك إلا بسبب سوء الفهم في إضافة هذه الصفات إلى الله، فلما لم يفهموا من صفات الإله إلا كما فهموه من صفات البشر، فرّوا من التشبيه فوقعوا في التعطيل . ومثلهم الجهمية الذين نفوا أسماء الله وصفاته، وقالوا بخلق القرآن، والقدرية (نفاة القدر)، والجبرية الذين زعموا أن الإنسان لا اختيار له وأنه مجبور على أفعاله، وكذلك المرجئة الذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لأن الإيمان عندهم هو التصديق فقط، وأن العمل لا يدخل في مسمّى الإيمان . وكذلك الخوارج الذين يكفّرون بالكبائر، ويرون السيف والخروج على الحاكم المسلم إذا جار في حكمه وظلم .

فكل هذه الفرق، إنما يعود السبب في انحرافها عن منهج أهل السنة والجماعة ـ من حيث الجملة ـ إلى نقص العلم وسوء الفهم، ولذلك قال شيخ الإسلام عن هؤلاء:

(هم جهال، فارقوا السنة والجماعة عن جهل)[1] . وهذا السبب الجملي يؤدي في النتيجة إلى جملة من الأخطاء، وعدد من الأسباب تُشكّل منطلقات للانحراف لكل جماعة بدعية .

منطلقات الانحراف الناشئة عن عدم الفهم:

لقد أدى عدم الفهم بكل جماعةٍ من الجماعات المنحرفة عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة، إلى مجموعة منطلقات تنطلق منها في تقعيد قواعدها ورسم منهجها، ومن هذه المنطلقات:

١ـ اعتماد علم الكلام ـ الذي ذمّه السلف ـ منطلقاً في تقرير المسائل العلمية، بدلاً من الكتاب والسنة .

٢ـ تقديم العقل على النقل، واعتبار العقل ميزاناً تعرض عليه النصوص في باب الغيبيات .

٣ـ تغليب التفسير اللغوي على التفسير الشرعي للألفاظ الشرعية .

٤ـ النظر إلى جانب واحد من النصوص وترك الجانب الآخر .

٥ـ الغلو في جانب من جوانب الدين والتنطع فيه .

٦ـ عدم اعتبار إجماع الصدر الأول من الصحابة والتابعين، وترك الأخذ بأقوال الصحابة وفهمهم .

---

[1] منهاج السنة النبوية (٣/٤٦٤) .

وقد أُضيف إلى هذه المنطلقات، جملة من الأسباب ساهمت في الانحراف، ومنها:

١ـ الابتعاد عن العلماء، وجفوتهم، وترك التلقي عنهم والاقتداء بهم .

٢ـ أخذ العلم عن غير أهله، وعلى منهج غير سليم .

٣ـ حداثة السن، وقلة التجربة، وعدم الفهم للواقع الحقيقي الذي يُنزَّل عليه الحكم الشرعي .

٤ـ تغليب العاطفة والحماس المجرَّد عن العلم والفهم .

٥ـ شيوع المنكرات والفساد والظلم في المجتمع، مع عدم العلم بالضوابط الشرعية للتغيير .

٦ـ الجهل التام بقواعد المصالح والمفاسد، وضوابط تحقيق المصالح، واعتبار الحاجة .

٧ـ الجهل بمقاصد التشريع، ومتى يعمل بقاعدة: (لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان).

٨ـ عدم تصور الواقع الحقيقي للأمة، وعدم إدراك العواقب، أو عدم اعتبارها أصلاً .

٩ـ التعالم والتصدر للفتيا في القضايا النوازل والمستجدة مع نقص العلم .

١٠ـ الغوغائية في التعامل مع الحدث، وعدم التأني في الحكم على الآخرين وعدم التثبت .

وغير ذلك مما هو مسطور في كتب أهل العلم الذين حذّروا من هذه الفرق ومناهجها، وبيّنوا أسباب الانحراف عن منهج أهل السنة في كل أبواب العلم والدين .

مخالطة أهل الأهواء سبب لانحراف عوام الشباب:

ومن الأسباب التي تؤدي إلى الانحراف عن منهج أهل السنة والجماعة، مخالطة أهل الأهواء، فأكثر من ضل في أبواب العلم والدين من الشباب العامي، إنما كان بسبب مخالطتهم ومجالستهم لأهل الأهواء والبدع المنحرفة، ومن أعظم الأمثلة على ذلك: عمران بن حِطّان الذي كان من أهل السنة والجماعة، فتزوّج امرأةً من الخوارج، فزعم أنه يردها إلى السنة والجماعة فأضلته وذهبت به .

وفي ذلك يقول الأستاذ الدكتور ناصر العقل: (وهذا من نتاج مخالطة أهل الأهواء ومعاشرتهم، فهذا عمران بن حِطّان، وهو من هو في اعتداده بنفسه، يتأثر بمعاشرة امرأة، ألا فليعتبر العاقل اللبيب، وهذه نصيحة أوجهها إلى أولئك الذين لا يبالون مع من يجلسون، ومن يخالطون، أو ربما يوالون صاحب الهوى والبدعة لمجرد موافقته لهم في شعار أو رأي أو عمل أو مصلحة دنيوية، ثم هم يدَّعون بعد ذلك أنهم لا يؤثر عليهم أحد . وهذا والله التفريط، ومن علامات الخذلان، نسأل الله السلامة)[1].

---

[1] رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع (٥١/٢) .

إن الناظر في هذه الأسباب التي أدت إلى انحراف فرق عن منهج أهل السنة والجماعة، يجد أنها تتمثل في طوائف معاصرة، أو أفراد غير منظمين، يحملون فكراً معيناً يمثّل منهجاً مطابقاً لمنهج بعض الفرق الضالّة أو مشابهاً إلى حد بعيد، وهذا ينذر بشر كبير، وخطر عظيم على أهل السنة والجماعة، يُنتج في أقل أحواله: خلافات حادّة، ومنازعات خطيرة، وانقسامات تفضي إلى تكفير ، أو تفسيق، أو تبديع، ومن ثمَّ الإضعاف والتآكل .

النار يأكل بعضها بعضاً إن لم تجد ما تأكله

فالواجب على الشباب المسلم أن يتفقهوا أولاً قبل أن يتصدروا ، وقبل أن يخوضوا فيما يخوضون فيه، ولست أعني بالفقه: معرفة أحكام الطهارة والصلاة وسائر العبادات فحسب، فالعلم بها قد يكون حاصلاً للبعض، ـ مع العلم أن أكثر الذين يخوضون فيما لا علم لهم به، يجهلون أحكام العبادات ـ وإنما أردت أحكام النوازل والفتن، وأحكام الدار وانتسابها إلى الإسلام أو الكفر، وما يجوز فعله في دار الكفر، وأحكام العلاقات مع غير المسلمين، وهذا مرتبط بمعرفة فقه القوة والضعف، وما يجوز في كل مرحلة مما لا يجوز، فإن العلم بهذه الأمور تعصم الدعوة من الفتن والانقسام، وتحقق لها تقدماً، وتجنبها كثيراً من المخاطر والفتن، فضلاً عن حفظ الشباب أنفسهم من القيل والقال والكلام في أعراض أهل العلم وطلاب العلم في كل ما لا يفهمون معناه وحكمه وحكمته .

والأصل في فقه ذلك ـ بالنسبة لعوام الشباب ـ سؤال أهل العلم عن تلك الأحكام، وأن يكون عوام الشباب خلف أهل العلم في هذه القضايا ، لا أن يتقدموا عليهم، أو يقرروا عنهم.

لقد تقرر في أذهان الشباب وحسهم، أنهم يرجعون إلى أهل العلم للسؤال عن الحيض، والنفاس، ـ ولذلك وصفوا العلماء بأنهم علماء حيض ونفاس، قلة أدبٍ منهم، مما يدل على فساد الباطن وسوء النية ـ ولكنه لم يخطر في بالهم أن يسألوا أهل العلم عن المسائل التي يترتب عليها تقرير مصير أهل السنة، ولا أن يستفصلوا عن مأخذ الحكم في فتاوى العلماء، فوقعوا فيما وقعوا فيه من إسقاط أهل العلم، والولوغ في أعراض الدعاة، حتى قالوا: العالم الفلاني خبيث، والآخر ضال ، فوقعوا في حبائل الشيطان، الذي أفقدهم الثقة بعلمائهم، فمنهم من ضرب بالدين عُرض الحائط، وخلع ثوب الالتزام قائلاً: إذا كان علماؤنا على هذه الحال فعلى الالتزام السلام .

ومنهم من نصَّب نفسه بديلاً عن العلماء، فهو يفتي ويحاكم ـ على قلة ما عنده من علم ـ فقوله الحق، وفتواه الصواب، الكل عنده مخطئون مقصرون متخاذلون، فالتألي على الله منهجهم، والغلو في المدح والذم طريقتهم، وما أجمل ما قاله فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (بل يغضبون على من خالفهم وإن كان مجتهداً معذوراً لا يغضب الله عليه، ويرضون عمن يوافقهم وإن كان جاهلاً سيء القصد، ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله، ويَذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله)[١].

لذلك، (فليحذر العبد مسالك أهل الظلم والجهل، الذين يسلكون مسالك العلماء، تسمع من أحدهم جعجعةً ولا ترى طحناً، فترى أحدهم أنه في أعلى الدرجات، وإنما هو يعلم ظاهراً من الحياة الدنيا، ولم يحم حول العلم الموروث عن سيد ولد آدم، وقد تعدَّى على الأعراض والأموال، بكثرة القيل والقال)[٢].

(فرحم الله عبداً نطق بعلم، أو سكت بحلم، وأقبل على شأنه وقصَّر لسانه، وأقبل على تلاوة قرآنه،وأدمن النظر في الصحيحين، وعبد اللهَ قبل أن يبغته الأجل، اللهم فوفق وارحم)[٣].

[١] منهاج السنة النبوية (٢٥٥/٥) .

[٢] الرد على البكري لابن تيمية، راجع الجواهر النقية، جمع عبد المحسن محمد الفهد .

[٣] من مقدمة كتاب الشريعة للآجري، تحقيق فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله .



فضل الصحابة وحكم من سبهم

أ. د. محمد بن السيد عبد الرزاق بن السيد إبراهيم الطبطبائي *

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

فعن أبي هريرة ﷺ: عن النبي ﷺ قال: « **لا يشكر الله من لا يشكر الناس** »[1].

قال الخطابي هذا الكلام يتأول على معنيين:

أحدهما: أن من كان طبعه كفران نعمة الناس، وترك الشكر لمعروفهم، كان من عادته كفران نعمة الله عز وجل، وترك الشكر له.

والوجه الآخر: أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه، إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس إليه، ويكفر معروفهم؛ لاتصال أحد الأمرين بالآخر[2].

وإنه لما انتشرت بدعة سب الصحابة هذه الأيام، لاسيما الخلفاء الراشدين منهم، وبدأ يسأل كثير من الناس عن حكم ذلك، وما يترتب عليه من الإثم، والعقوبة، وكانوا بين متشدد ومتساهل، ولا يستغرب ذلك فهي من المواضيع التي غابت عن كثير من المسلمين، لذا رأيت لزاماً أن نبحث في فضل الصحابة وحكم من سبهم، وذلك في ثلاثة مطالب، وهي كما يلي:

المطلب الأول: تعريف الصحابي.

المطلب الثاني: فضل الصحابة، وعدالتهم.

المطلب الثالث: حكم سب الصحابة.

والله تعالى أسأل أن يوفقنا للخير، والحمد لله رب العالمين.

---

* عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الكويت ـ دولة الكويت ـ له عدة مؤلفات، منها: الأحكام والآداب الشرعية لسائق السيارة ـ باب الريان (الصيام وأحكامه الشرعية) وغيرها ...

(1) رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح (٤/ ٣٣٩)، وابن حبان (١٩٨/٨).

(2) تفسير القرطبي (١/ ٣٩٨)، عون المعبود (١٣/ ١١٤).

المطلب الأول

تعريف الصحابي

أولاً: تعريف الصحابي:

لغةً: قال ابن فارس: الصاد والحاء والباء أصل واحد، يدل على مقارنة شيء ومقاربته، ومن ذلك الصاحب، والجمع: الصحب[١].

اصطلاحاً: هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإيمان[٢].

وقيل هو من رأى النبي ﷺ وطالت صحبته معه، وإن لم يرو عنه ﷺ [٣].

وقيل الذين رأوه وصحبوه، ولو قليلاً[٤]

وقيل: إن الصحابي من رأى النبي ﷺ وإن لم يختص به اختصاص المصحوب، ولا روى عنه، ولا طالت مدة صحبته[٥] .

وذهب آخرون إلى أن الصحابي: إنما يطلق على من رأى النبي ﷺ واختص به اختصاص المصحوب، وطالت مدة صحبته، وإن لم يرو عنه[٦].

وذهب عمر بن يحيى إلى أن هذا الاسم إنما يسمى به: من طالت صحبته للنبي ﷺ وأخذ عنه العلم[٧].

قال الآمدي: والخلاف في هذه المسألة وإن كان آيلاً إلى النزاع في الإطلاق اللفظي، فالأشبه إنما هو الأول .

ويدل على ذلك ثلاثة أمور:

الأول: أن الصاحب اسم مشتق من الصحبة، والصحبة تعم القليل والكثير، ومنه يقال: صحبته ساعةً، وصحبته يوماً، وشهراً، وأكثر من ذلك، كما يقال: فلان كلمني، وحدثني، وزارني، وإن كان لم يكلمه، ولم يحدثه، ولم يزره سوى مرةً واحدةً .

---

[١] معجم مقاييس اللغة (٣٤/٢) .

[٢] قواعد الفقه (١٨٠/١) .

[٣] التعريفات ـ الجرجاني (١٧٣/١) .

[٤] الفواكه الدواني (١٠١/١) .

[٥] الإحكام للآمدي (١٠٣/٢) .

[٦] الإحكام للآمدي (١٠٣/٢) .

[٧] الإحكام للآمدي (١٠٣/٢) .

الثاني: أنه لو حلف أنه لا يصحب فلاناً في السفر، أو ليصحبنه، فإنه يبر ويحنث بصحبته ساعة .

الثالث: أنه لو قال قائل: صحبت فلاناً، فيصح أن يقال: صحبته ساعة، أو يوماً، أو أكثر من ذلك، وهل أخذت عنه العلم؟ ورويت عنه أو لا ؟ ولولا أن الصحبة شاملة لجميع هذه الصور، ولم تكن مختصة بحالة منها، لما احتيج إلى الاستفهام[١].

فإن قيل: إن الصاحب في العرف يطلق على المكاثر الملازم، ومنه يقال: أصحاب القرية، وأصحاب الكهف والرقيم، وأصحاب الرسول، وأصحاب الجنة للملازمين لذلك، وأصحاب الحديث للملازمين لدراسته، وملازمته دون غيرهم، ويدل على ذلك أيضاً أنه يصح أن يقال: فلان لم يصحب فلاناً، لكنه وفد عليه أو رآه أو عامله، والأصل في النفي أن يكون محمولاً على حقيقته، بل ولا يكفي ذلك بل لا بد مع طول المدة من أخذ العلم والرواية عنه، ولهذا يصح أن يقال: المزني صاحب الشافعي، وأبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة، ولا يصح أن يقال لمن رآهما وعاشرهما طويلاً، ولم يأخذ عنهما: أنه صاحب لهما .

والجواب عن الشبهة الأولى: أنا لا نسلم أن اسم الصاحب لا يطلق إلا على المكاثر الملازم، ولا يلزم من صحة إطلاق اسم الصاحب على الملازم المكاثر كما في الصور المستشهد بها امتناع إطلاقه على غيره، بل يجب أن يقال: بصحة إطلاق ذلك على المكاثر وغيره حقيقة، نظراً إلى ما وقع به الاشتراك، نفياً للتجوز والاشتراك عن اللفظ .

وصحة النفي إنما كان؛ لأن الصاحب في أصل الوضع، وإن كان لمن قلّت صحبته أو أنه في عرف الاستعمال لمن طالت صحبته، فإن أريد نفي الصحبة بالمعنى العرفي فحق، وإن أريد نفيها بالمعنى الأصلي فلا يصح، وهذا الجواب عما قيل: من اشتراط أخذ العلم، والرواية عنه أيضاً[٢].

---

[١] الإحكام للآمدي (١٠٤/٢) .

[٢] الإحكام للآمدي (١٠٥/٢) .

المطلب الثاني

فضل الصحابة وعدالتهم

الفرع الأول: الأدلة على فضل الصحابة:

لقد وردت أدلة كثيرة على فضل الصحابة، في الكتاب والسنة، وقد قرر العلماء ذلك في كتبهم، ومنه ما يلي:

أولاً: من الكتاب:

الآيات الواردة في فضل الصحابة كثيرة، منها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال المفسرون: يقول تعالى ذكره والذين سبقوا الناس أولاً إلى الإيمان بالله ورسوله، من المهاجرين الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم، وفارقوا منازلهم وأوطانهم، والأنصار الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله، والذين سلكوا سبيلهم في الإيمان بالله ورسوله والهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام؛ طلب رضا الله رضي الله عنهم ورضوا عنه[1].

قال الجصاص: فيه الدلالة على تفضيل السابق إلى الخير على التالي؛ لأنه داع إليه بسبقه، والتالي تابع له، فهو إمام له وله [2].

وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨].

إن قوله تعالى جل ذكره: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ ﴾ أي: يا محمد، ﴿ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾: يعني بيعة أصحاب رسول الله ﷺ رسول الله بالحديبية، حين بايعوه على مناجزة قريش الحرب، وعلى أن لا يفروا ولا يولوهم الدبر، ﴿ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾، وكانت بيعتهم إياه هنالك فيما ذكر تحت شجرة[3].

---

[1] تفسير الطبري (٦/١١) وتفسير القرطبي (٣٠٧/٨) .

[2] أحكام القرآن (٣٥٣/٤) .

[3] تفسير الطبري (٨٥/٢٦) .

وذلك أن النبي ﷺ أقام منصرفه من غزوة بني المصطلق، في شوال، وخرج في ذي القعدة معتمراً، واستنفر الأعراب الذين حول المدينة، فأبطأ عنه أكثرهم، وخرج النبي ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار، ومن اتبعه من العرب، وجميعهم نحو ألف وأربعمائة، وقيل: ألف وخمسمائة وساق معه الهدي، فأحرم رسول الله ﷺ؛ ليعلم الناس أنه لم يخرج لحرب، فلما بلغ خروجه قريشاً، خرج جمعهم صادين لرسول الله ﷺ عن المسجد الحرام، ودخول مكة، وإنه إن قاتلهم قاتلوه دون ذلك، وقدموا خالد بن الوليد في خيل إلى كراع الغميم، فورد الخبر بذلك على رسول الله ﷺ وهو بعسفان، وكان المخبر له بشر بن سفيان الكعبي، فسلك طريقاً يخرج به في ظهورهم، وخرج إلى الحديبية من أسفل مكة وكان دليله فيهم رجل من أسلم، فلما بلغ ذلك خيل قريش التي مع خالد، جرت إلى قريش تعلمهم بذلك، فلما وصل رسول الله ﷺ إلى الحديبية بركت ناقته ﷺ فقال الناس: خلأت خلأت، فقال النبي ﷺ: ((ما خلأت، وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة رحم إلا أعطيتهم إياها)).

ثم نزل ﷺ هناك: فقيل: يا رسول الله، ليس بهذا الوادي ماء فأخرج عليه الصلاة والسلام سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه، فنزل في قليب من تلك القلب، فغرزه في جوفه، فجاش بالماء الرواء حتى كفى جميع الجيش وقيل إن الذي نزل بالسهم في القليب ناجية بن جندب بن عمير الأسلمي وهو سائق بدن النبي ﷺ.

وقيل: نزل بالسهم في القليب البراء بن عازب، ثم جرت السفراء بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش، وطال التراجع والتنازع إلى أن جاء سهيل بن عمرو العامري فقاضاه على أن ينصرف عليه الصلاة والسلام عامه ذلك، فإذا كان من قابل أتى معتمراً ودخل هو وأصحابه مكة بغير سلاح حاشا السيوف في قربها فيقيم بها ثلاثاً ويخرج، وعلى أن يكون بينه وبينهم صلح عشرة أعوام، يتداخل فيها الناس، ويأمن بعضهم بعضاً، وعلى أن من جاء من الكفار إلى المسلمين مسلماً من رجل أو امرأة، رد إلى الكفار، ومن جاء من المسلمين إلى الكفار مرتداً، لم يردوه إلى المسلمين.

فعظم ذلك على المسلمين، حتى كان لبعضهم فيه كلام، وكان رسول الله ﷺ أعلم بما علمه الله من أنه سيجعل للمسلمين فرجاً، فقال لأصحابه: ((اصبروا، فإن الله يجعل هذا الصلح سبباً إلى ظهور دينه)).

فأنس الناس إلى قوله هذا بعد نفار منهم، وأبى سهيل بن عمرو أن يكتب في صدر صحيفة الصلح من محمد رسول الله، وقالوا له: لو صدقناك بذلك ما دفعناك عمَّا تريد، فلا بد أن تكتب باسمك اللهم .

فقال لعلي - وكان يكتب صحيفة الصلح -: امح يا علي، واكتب باسمك اللهم، فأبى علي أن يمحو بيده محمد رسول الله، فقال له رسول الله ﷺ: ((اعرضه علي))، فأشار إليه، فمحاه رسول الله ﷺ بيده، وأمره أن يكتب من محمد بن عبد الله، وأتى أبو جندل بن سهيل يومئذ بأثر كتاب الصلح، وهو يرسف في قيوده، فرده رسول الله ﷺ إلى أبيه، فعظم ذلك على المسلمين فأخبرهم رسول الله ﷺ وأخبر أبا جندل أن الله سيجعل له فرجاً ومخرجاً، وكان رسول الله ﷺ قبل الصلح قد بعث عثمان بن عفان إلى مكة رسولاً، فجاء خبر إلى رسول الله ﷺ بأن أهل مكة قتلوه، فدعا رسول الله ﷺ حينئذ إلى المبايعة له على الحرب والقتال لأهل مكة، فروي أنه بايعهم على الموت، وروي أنه بايعهم على ألا يفروا وهي بيعة الرضوان تحت الشجرة التي أخبر الله تعالى أنه رضي على المبايعين لرسول الله ﷺ تحتها، وأخبر رسول الله ﷺ أنهم لا يدخلون النار، وضرب رسول الله ﷺ بيمينه على شماله لعثمان، فهو كمن شهدها[1].

وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح: ٢٩] .

وجه الدلالة من هذه الآية: أن الله تعالى يخبر عن محمد ﷺ أنه رسوله حقاً بلا شك ولا ريب، فقال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾: وهذا مبتدأ وخبر، وهو مشتمل على وصف كل جميل، ثم ثنى بالثناء على أصحابه ﷺ فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩] .

قال ابن كثير: يكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم أنه قال تبارك وتعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم ﴾ من هذه لبيان الجنس ﴿ مَّغۡفِرَةٗ ﴾ أي: لذنوبهم ﴿ وَأَجۡرًا عَظِيمًۢا ﴾ أي: ثواباً جزيلاً، ورزقاً كريماً، ووعد الله حق وصدق، ولا يخلف، ولا يبدل، وكل من

---

[1] تفسير القرطبي (١٦/٢٧٤-٢٧٧)

[2] تفسير ابن كثير (٤/٢٠٤) .

اقتفى أثر الصحابة ﭬ فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة، ﭬ وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم[(١)].

وقال الشوكاني: أي: وعد سبحانه هؤلاء الذين مع محمد ﷺ أن يغفر ذنوبهم، ويجزل أجرهم بإدخالهم الجنة التي هي أكبر نعمة، وأعظم منة[(٢)].

وقال الله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨] فقد أثنى الله تعالى عليهم بوصفهم بالصدق.

ثانياً: الأحاديث في فضل الصحابة:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ((لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه))[(٣)].

قال الألوسي: شاع الاستدلال بهذا الحديث على فضل الصحابة مطلقاً، بناء على ما قالوا: إن إضافة الجمع تدل على الاستغراق[(٤)].

عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: ((ثم يأتي على الناس زمان يغزو فئام من الناس، فيقال: من رأى رسول الله ﷺ، فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال: من رأى من صحب رسول الله ﷺ فيقولون نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ فيقولون: نعم، فيفتح لهم))[(٥)].

وعن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ثم خير أمتي القرن الذين يلوني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته))[(٦)].

وعن عمران بن الحصين ﷺ عن النبي ﷺ ـ بهذا الحديث ـ: ثم خير هذه الأمة القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم[(٧)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٠٦).

(٢) فتح القدير (٥/٥٧).

(٣) متفق عليه.

(٤) روح المعاني (٢٧/١٧٣).

(٥) متفق عليه، صحيح البخاري (٣/١٣٣٥)، وصحيح مسلم (٤/١٩٦٢).

(٦) صحيح مسلم (٤/١٩٦٢).

(٧) صحيح مسلم (٤/١٩٦٥).

وعن أبي موسى قال: ثم صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ فقلنا: لو انتظرنا حتى نصلي معه العشاء، فانتظرنا، فخرج علينا، فقال: ما زلتم هاهنا، قلنا: نعم نصلي معك العشاء قال: ((أحسنتم))، أو قال: ((أصبتم))، ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: ((النجوم أمنة السماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا أنا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)) .

قال أبو حاتم رضي الله عنه: يشبه أن يكون معنى هذا الخبر أن الله جل وعلا جعل النجوم علامة لبقاء الفناء، الذي كتب عليها، وجعل الله رسوله أمنة أصحابه من وقوع الفتن، فلما قبضه الله جل وعلا إلى جنته أتى أصحابه الفتن التي أوعدوا، وجعل الله أصحابه أمنة أمته من ظهور الجور فيها، فإذا مضى أصحابه أتاهم ما يوعدون من الحق من الجور والأباطيل[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر ولكن أخي وصاحبي))[2].

وقال عليه الصلاة السلام لعلي لما خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله ﷺ: ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوة بعدي))[3].

وسمعته يقول يوم خيبر: ((لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله))، قال: فتطاولنا لها، فقال: ((ادعوا لي علياً))، فأتي به أرمد، فبصق في عينه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه[4].

وفي فضل البدريين عن عبيد الله بن أبي رافع وهو كاتب علي قال سمعت علياً رضي الله عنه وهو يقول: ثم بعثنا رسول الله ﷺ أنا، والزبير، والمقداد، فقال: ائتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، معها كتاب، فخذوه منها، فانطلقنا تعادي بنا خيلنا، فإذا نحن بالمرأة ، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت ما معي كتاب . فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من

---

[1] صحيح ابن حبان (١٦/٢٣٤) .

[2] صحيح البخاري (٣/١٣٣٧) .

[3] صحيح مسلم (٤/١٨٧١) .

[4] صحيح مسلم (٤/١٨٧١) .

أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ يا حاطب ما هذا؟ قال: لا تعجل علي يا رسول الله، إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش، قال سفيان: كان حليفاً لهم، ولم يكن من أنفسها، وكان ممن معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا؛ يحمون بها قرابتي، ولم أفعله كفراً، ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال النبي ﷺ: صدق. فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق.

فقال: إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله يتحقق أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فأنزل الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾[١].

ثالثاً: أقوال العلماء في فضل الصحابة:

قال محمد بن سيرين: ما أظن أحداً يبغض أبا بكر وعمر، وهو يحب رسول الله ﷺ[٢].

روى أبو عروة الزبيري من ولد الزبير كنا عند مالك بن أنس فذكروا رجلاً ينقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ... ﴾، حتى بلغ: ﴿ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ ﴾ فقال مالك: من أصبح من الناس وفي قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية[٣].

قال الخطيب أبو بكر البغدادي: لقد أحسن مالك في مقالته، وأصاب في تأويله، فمن نقّص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله تعالى، وأبطل شرائع المسلمين[٤].

وعن عمر بن حبيب قال: حضرت مجلس هارون الرشيد، فجرت مسألة تنازعها الحضور وعلت أصواتهم، فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ، فرفع بعضهم الحديث، وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم: لا يقبل هذا الحديث عن رسول الله ﷺ؛ لأن أبا هريرة متهم فيما يرويه، وصرحوا بتكذيبه، ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم، ونصر قولهم، فقلت: إن الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ وأبو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن النبي ﷺ وغيره.

---

[١] صحيح مسلم (١٩٤١/٤).

[٢] تفسير ابن كثير (٤٧٨/١).

[٣] تفسير القرطبي (١٦/ ٢٩٧).

[٤] تفسير القرطبي (١٦/ ٢٩٧).

فنظر إلي الرشيد نظر مغضب، وقمت من المجلس فانصرفت إلى منزلي فلم ألبث حتى قيل: صاحب البريد بالباب، فدخل فقال لي: أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول، وتحنط وتكفن، فقلت: اللهم إنك تعلم أني دافعت عن صاحب نبيك، وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه فسلمني منه، فأدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي من ذهب، حاسر عن ذراعيه، بيده السيف، وبين يديه النطع فلما بصر بي، قال لي: يا عمر بن الحبيب ما تلقّاني أحد من الرد والدفع لقولي بمثل ما تلقيتني به، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الذي قلته وجادلت عنه فيه ازدراء على رسول الله ﷺ وعلى ما جاء به، إذا كان أصحابه كذابين فالشريعة باطلة والفرائض والأحكام في الصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مردود غير مقبول، فرجع إلى نفسه ثم قال: أحييتني يا عمر بن حبيب، أحياك الله، وأمر لي بعشرة آلاف درهم[١].

قال النفراوي: مما يجب الجزم به أن خير أي: أفضل القرون التي توجد بعد موته ﷺ القرن الذي رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به، وهم الصحابة ﷺ والمراد به الذين رأوه وصحبوه، ولو قليلاً، فإنهم أفضل من جميع أهل القرون المتأخرة[٢].

الفرع الثاني: ترتيب الصحابة من جهة الفضل:

الأفضل ـ عند أهل السنة ـ أبو بكر الصديق، وهذا مجمع عليه[٣]. ولا مبالاة بما يخالفه، وسمي بالصديق؛ لأنه صدّق بالنبي ﷺ في نبوته ورسالته، وصدقه في المعراج بلا تردد، فيما أخبر به.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: ثم خطب رسول الله ﷺ الناس، وقال: إن الله خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله، قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير، فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: ((إن من أمنِّ الناس علي في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر))[٤].

---

[١] تفسير القرطبي (١٦/ ٢٩٩).

[٢] الفواكه الدواني (١/١٠١).

[٣] شرح زبد بن أرسلان (١٤).

[٤] صحيح البخاري (٣/١٣٣٧).

عن أنس بن مالك ﷺ أن أبا بكر حدثه قال: ثم نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي))[٢].

والأفضل التالي له عمر بن الخطاب، الفاروق؛ لما روي أنه قال: كان إسلام عمر عزاء، وهجرته نصرة، وإمارته رحمة، والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر[٣].

وروى ابن سعد عن صهيب أنه قال: لما أسلم عمر قال المشركون: انتصف القوم منا.

وقال حذيفة: لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل، لا يزداد إلا قرباً ولما قتل: كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعداً[٤].

وورد أن جبريل نزل عند إسلام عمر، وقال: يا محمد استبشر أهل السماء بإسلام عمر، وسمي بالفاروق؛ لأنه فرق بين الحق والباطل في القضايا والخصومات.

ثم عثمان بن عفان بعده، ثم علي بن أبي طالب، لإطباق السلف على أفضليتهم عند الله على هذا الترتيب.

ولقوله عليه الصلاة السلام لعلي لما خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله ﷺ: ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوة بعدي))[٥].

وسمعته يقول يوم خيبر: ((لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله))، قال: فتطاولنا لها، فقال: ((ادعوا لي علياً))، فأتي به أرمد، فبصق في عينه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه[٦].

ولما نزلت: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٦١] دعا رسول الله ﷺ علياً، وفاطمة، وحسناً وحسينا، فقال لهم: اللهم هؤلاء أهلي[٧].

---

[١] صحيح مسلم (١٨٥٤/٤).
[٢] صحيح البخاري (١٣٣٧/٣).
[٣] شرح زبد بن أرسلان (١٤).
[٤] شرح زبد بن أرسلان (١٤).
[٥] صحيح مسلم (١٨٧١/٤).
[٦] صحيح مسلم (١٨٧١/٤).
[٧] صحيح مسلم (١٨٧١/٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين))[1] .

وفي صحيح البخاري وغيره عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد النبي ﷺ قال: أبو بكر، قلت: ثم من ؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله ﷺ فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان[3] وهو في حكم المرفوع، ثم الأكبرين .

فالستة الباقون من العشرة، وهم طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح .

فالبدري، أي: فالأفضل بعد العشرة، من شهد وقعة بدر، وهم ثلاثمائة وبضعة عشر، والبضع بكسر الباء، وقد تفتح ما بين الثلاث إلى التسع، وعبارة إمام الحرمين وغيره وثلاثة عشر وزاد أهل السير على القولين وأربعة عشر وخمسة عشر وستة عشر وثمانية عشر وتسعة عشر، وقال بعضهم: ثمانية من الثلاثة عشر لم يحضروها وإنما ضرب لهم بسهمهم وأجرهم وكانوا كمن حضرها، وهي البطشة الكبرى، والتي أعز الله بها الإسلام .

ثم بعد البدريين، أصحاب أحد . ثم أهل بيعة الرضوان[4].

الفرع الثالث: عدالة الصحابة:

قال ابن تيمية: إن أهل السنة متفقون على عدالة الصحابة[5]، وهي معلومة[6].

ولكن الآمدي ذكر الخلاف بين أهل السنة بقوله: اتفق الجمهور من الأئمة على عدالة الصحابة، وقال قوم: إن حكمهم في العدالة حكم من بعدهم في لزوم البحث عن عدالتهم عند الرواية .

ومنهم من قال: إنهم لم يزالوا عدولاً إلى حين ما وقع من الاختلاف والفتن فيما بينهم، وبعد ذلك فلا بد من البحث في العدالة عن الراوي أو الشاهد منهم، إذا لم يكن ظاهر العدالة[7].

---

(1) رواه أبو داود برقم (٤٦٠٧) وهو صحيح .
(2) صحيح البخاري (٣٦٧١) فتح الباري (٢٤/٧) .
(3) صحيح البخاري (٣٦٥٥) فتح الباري (١٩/٧) .
(4) شرح زبد بن أرسلان .
(5) مجموع الفتاوى (١٠٤/٢٠) .
(6) اللمع .
(7) حاشية العدوي (١٤٦/١) .

ومنهم من قال: بأن كل من قاتل علياً، عالماً منهم، فهو محمود مردود الرواية والشهادة، لخروجهم عن الإمام الحق .

ومنهم من قال: برد رواية الكل، وشهادتهم؛ لأن أحد الفريقين فاسق، وهو غير معلوم ولا معيَّن .

ومنهم من قال: بقبول رواية كل واحد منهم، وشهادته إذا انفرد؛ لأن الأصل فيه العدالة، وقد شككنا في فسقه، ولا يقبل ذلك منه مع مخالفة غيره لتحقق فسق أحدهما من غير تعيين .

ورجح الآمدي مذهب الجمهور من الأئمة، بما تحقق من الأدلة الدالة على عدالتهم ونزاهتهم وتخييرهم على من بعدهم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣] أي عدولاً، وقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ، وهو خطاب مع الصحابة الموجودين في زمن النبي ﷺ .

المطلب الثالث

حكم سب الصحابة، وعقوبة ذلك

الفرع الأول: مفهوم السب، وحكمه:

أولاً: تعريف السب:

السب لغةً: الشتم، وقد سبَّه، يسبه، وسبه[١].

ثانياً: الحكم التكليفي لسب الصحابة:

لقد نهى النبي ﷺ عن سب الصحابة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مد أحدهم، ولا نصيفه))[٢].

النصيف بوزن الرغيف، هو النصف، كما يقال: عشر وعشير، وثمن وثمين، وقيل: النصيف مكيال دون المد، والمد بضم الميم مكيال معروف[٣].

قال البيضاوي: معنى الحديث لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهباً من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصيفه، وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص، وصدق النية[٤].

---

[١] الصحاح (١٦٤/١) .

[٢] صحيح مسلم (١٩٦٧/٤) .

[٣] فتح الباري (٣٤/٧) .

[٤] نفس المصدر .

قال ابن حجر: وأعظم من ذلك في سبب الأفضلية عظم موقع ذلك، لشدة الاحتياج إليه، وأشار بالأفضلية بسبب الإنفاق إلى الأفضلية، بسبب القتال، كما وقع في الآية: ﴿ مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ﴾ [الحديد: ١٠] ، فإن فيه إشارة إلى موقع السبب الذي ذكرته وذلك أن الإنفاق والقتال كان قبل فتح مكة عظيماً؛ لشدة الحاجة إليه وقلة المعتني به، بخلاف ما وقع بعد ذلك، لأن المسلمين كثروا بعد الفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فإنه لا يقع ذلك الموقع المتقدم. والله أعلم[١] .

وقال: وقع في رواية جرير ومحاضر عن الأعمش، وكذا في رواية عاصم عن أبي صالح ذكر سبب لهذا الحديث، وهو ما وقع في أوله، قال: كان بين خالد بن الوليد، وعبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فذكر الحديث، وسيأتي بيان من أخرجه، قوله: ((فلو أن أحدكم)): فيه إشعار بأن المراد بقوله أولاً: ((أصحابي)): أصحاب مخصوصون، وإلا فالخطاب كان للصحابة، وقد قال: ((لو أن أحدكم أنفق)) : وهذا كقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ﴾ الآية ... [الحديد: ١٠] ، ومع ذلك فنهيُ بعض من أدرك النبي ﷺ وخاطبه بذلك عن سب من سبقه يقتضي زجر من لم يدرك النبي ﷺ ولم يخاطبه عن سب من سبقه من باب أولى[٢].

ثالثاً: الحكم بكفر من سب الصحابة:

تحرير محل الخلاف:

من اعتقد كفر جميع الصحابة، فهو كافر بالإجماع[٣]، فإن كان لواحد منهم أو لبعضهم، فوقع في ذلك الخلاف، كما يلي:

القول الأول: أن سب الصحابة كبيرة من الكبائر:

عن مغيرة قال: كان يقال: شتم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الكبائر[٤].

---

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر .

(٣) حاشية ابن عابدين (١٦٢/٧) .

(٤) تفسير ابن كثير (٤٧٨/١) .

ولقد حذر العلماء من الطعن في الصحابة، روى أبو عروة الزبيري من ولد الزبير كنا عند مالك بن أنس فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ... ﴾، حتى بلغ: ﴿ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ ﴾ فقال مالك: من أصبح من الناس وفي قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية، ذكره الخطيب أبو بكر[1].

قال القرطبي: لقد أحسن مالك في مقالته، وأصاب في تأويله، فمن نقّص واحد منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين، وقال: فحذار من الوقوع في أحد منهم[2].

وقال ابن عابدين: منكر خلافة الشيخين، والساب لهما، فإن فيه إنكار حكم الإجماع القطعي، إلا أنهم ينكرون حجية الإجماع باتهامهم الصحابة، فكان لهم شبهة في الجملة، وإن كانت ظاهرة إلى الدليل فبسبب تلك الشبهة التي أدى إليها اجتهادهم، لم يحكم بكفرهم ـ مع أن معتقدهم كفر ـ احتياطاً، بخلاف مثل ما ذكرنا من الغلاة، وحاصله أن المحكوم بكفره من أداه هواه وبدعته إلى مخالفة دليل قطعي لا يسوغ فيه تأويلٌ أصلاً، كرد آية قرآنية أو تكذيب نبي، أو إنكار أحد أركان الإسلام، ونحو ذلك، بخلاف غيرهم، كمن اعتقد أن علياً هو الأحق بالخلافة، وصاروا يسبون الصحابة؛ لأنهم منعوه حقه، ونحوه، فلا يحكم بكفرهم احتياطاً، وإن كان معتقدهم في نفسه كفراً، أي: يكفر به من اعتقده بلا شبهة تأويل، والحاصل أن الحكم بالكفر على ساب الشيخين أو غيرهما من الصحابة مطلقاً قول ضعيف، لا ينبغي الإفتاء به، ولا التعويل عليه، كما حققه سيدي الوالد رحمه الله تعالى في كتابه تنبيه الولاة والحكام[3].

وقال: وأما قتل العلماء والأولياء وسبهم فليس بكفر، إلا إذا كان على وجه الاستحلال أو الاستخفاف، فقاتل عثمان وعلي رضي الله عنهما لم يقل بكفره أحد من العلماء، إلا الخوارج في الأول، والروافض في الثاني[4].

---

[1] تفسير القرطبي (٢٩٨/١٦) .

[2] المصدر السابق .

[3] حاشية ابن عابدين (١٦٢/٧) .

[4] نفس المصدر .

وهو قول عند الشافعية[١]، والمذهب عند الحنابلة أنه يكون فاسقاً بسبه للصحابة[٢]، قال ابن مفلح: وذكر ابن البنا في تكفير من سب الصحابة والسلف من الرافضة، ومن سب علياً من الخوارج، خلافاً والذي ذكره القاضي عدم التكفير[٣].

القول الثاني: التفصيل:

أن من سب الشيخين أو الحسنين يكفر، ومن سب بقية الصحابة فسق، وهو المذهب عند الشافعية[٤].

القول الثالث: أنه كفر:

وقد ذهب طائفة من العلماء إلى تكفير من سب الصحابة، وهو رواية عن مالك بن أنس رحمه الله[٥].

فعند قول الحق تعالى: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾، قال ابن كثير: (ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك ـ رحمة الله عليه ـ في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة ﷺ قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة ﷺ فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء ﷺ على ذلك[٦].

الفرع الثاني: عقوبة من سب الصحابة:

هناك عدة عقوبات يوقعها الحاكم أو نائبه على من سب الصحابة، وهي كما يلي:

أولاً: التعزير:

قال النووي: إن سب الصحابة ﷺ حرام، من فواحش المحرمات، سواء من لابس الفتن منهم وغيره، لأنهم مجتهدون في تلك الحروب، متأولون، كما أوضحناه في أول فضائل الصحابة، من هذا الشرح، قال القاضي: وسب أحدهم من المعاصي الكبائر، ومذهبنا، ومذهب الجمهور أنه يعزر ولا يقتل، وقال بعض المالكية: يقتل[٧].

---

[١] إعانة الطالبين (١٣٨/٤) .

[٢] المغني (١٦٨/١٠) .

[٣] المبدع (١٠/ ٢٢٣) .

[٤] إعانة الطالبين (١٣٨/٤) .

[٥] تفسير ابن كثير (٤٧٨/١) .

[٦] تفسير ابن كثير (٢٠٥/٤) .

[٧] شرح النووي (٩٣/١٦) .

ثانياً: عدم قبول شهادة من سب الصحابة:

ذهب الجمهور من الحنفية والحنابلة إلى أنه لا تقبل شهادة من سب الصحابة أو أحدهم، لأنه لو سب واحداً من الناس لا تقبل شهادته فهذا أولى[1].

وقد علل الحنابلة عدم قبول شهادة من سب الصحابة، بأن من سبهم يفسق بذلك، فلا تقبل شهادته[2].

وذهب الشافعية إلى أنه تقبل شهادته[3]؛ لأنه يقولها اعتقاداً لا عداوة[4].

حكم البقاء في البلد التي يسب فيها الصحابة:

ذهب المالكية إلى أنه يجب على المسلم الهروب من بلد أو موضع يذل فيه نفسه، إلى بلد أو موضع يعز فيه نفسه؛ لأن المؤمن لا يذل نفسه، قال الشاعر:

إذا كنت في أرض يذلك أهلها ولم تك ذا عز بها فتغـــرب

ولأن رسول الله ﷺ لم يستقم له بمكة حال فاستقام بيثرب، وكذلك يجب الهروب من بلد لا علم فيه، إلى بلد فيه العلم، وكذلك يجب الهروب من بلد يسمع فيها سب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ولو كان مكة والمدينة، فهذا سفر الهروب[5].

وقال القاضي الإمام أبو يعلى الحنبلي ـ رحمه الله ـ: كان الخرقي علامة بارعاً في مذهب أبي عبد الله، وكان ذا دين، وأخا ورع، وقال القاضي أبو الحسين: كانت له المصنفات الكثيرة في المذهب، ولم ينشر منها إلا المختصر في الفقه؛ لأنه خرج من مدينة السلام لما ظهر سب الصحابة بها ،وأودع كتبه في دار سليمان، فاحترقت الدار، والكتب فيها[6].

الفرع الثالث: توبة السّاب للصحابة:

لقد أجمعت الأمة ـ كما قال ابن الصلاح ـ على أن الله لم يجعل فيما خلق ذنباً لا توبة منه أصلاً، ونصوص الكتاب والسنة متظاهرة على أنه ينبغي أن يعلم أن التوبة من ذنب

---

[1] حاشية ابن عابدين (١٦٢/٧)، الدر المختار (٤٨٣/٥) .

[2] المغني (١٦٨/١٠) .

[3] إعانة الطالبين (٢٩١/٤) .

[4] حواشي الشرواني (٢٣٥/١٠) .

[5] مواهب الجليل (١٣٩/٢) .

[6] المغني (١٨/١) .

السب لا يكفي فيها توبة الساب فيما بينه وبين الله تعالى، فإن سب الصحابة ﷺ ظلم لهم، والتوبة من مظالم العباد طريقها إلى البراءة إليهم بإجلالهم أو غيره، وذلك متعذر فيمن مات، ومع ذلك فطريق متعذر على التائب من سب الصحابة من وجوه:

أحدها: الاستغفار لهم والدعاء لهم بالرحمة والرضوان، ولاسيما في أعقاب الصلوات .

الثاني: أن يكثر من الأعمال الصالحة حتى تقع بعض حسناته عوضاً عن هذه المظلمة، ويفضل له ما يسعد به إن شاء الله تعالى .

الثالث: أن يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى في أن يضمن عنه تبعاته ويرضى عنه من فضله من ظلمه بالسب وغيره، فهو سبحانه وتعالى جدير بإجابة دعائه .

وهذه الوجوه لها أصول منها: حديث حذيفة أنه شكى رسول الله ﷺ ذرب لسانه على أهله، فقال: ((أين أنت عن الاستغفار))، أخرجه النسائي وغيره[1].

نتائج البحث :

لقد توصلت من خلال هذا البحث إلى عدة نتائج، وأهمها ما يلي:

١. أن الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإيمان .

٢. فضائل الصحابة ثابتة في الكتاب والسنة .

٣. من سب جميع الصحابة فهو كافر بالإجماع .

٤. يتولى الحاكم أو نائبه تعزير من سب الصحابة .

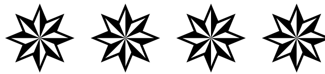
٥. يجب التوبة على من سب الصحابة .

٦. أن من سب الصحابة أو بعضهم يستحق العقوبة التعزيرية، التي تمنعه، وتردع غيره .

٧. أن الصحابة عدول .

٨. اختلف العلماء في حكم قبول شهادة من سب الصحابة، والراجح عدم قبولها .

هذا وصلى الله على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين .



---

[1] فتاوى ابن الصلاح (١٨٩/١) .



أحكام النسيان في العبادات

فضيلة الشيخ بشار بن حسين العجل ❖

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد ، فإن موضوع النسيان من المواضيع المهمة حيث لا يخلو إنسان منه ، لهذا كان لا بد من بيانٍ أحكامه وما يتعلق به ، وخاصة في العبادات لأنها عامة في كل مسلم .

أبدأ أولاً بتعريف النسيان . وبيان حكمه عموماً .

تعريف النسيان:

النسيان في اللغة : بكسر النون وسكون السين ، ضد الذكر والحفظ ، ويقال: رجل نسيان بفتح النون كثير النسيان للشيء .

ويأتي النسيان أيضاً بمعنى الترك[1] ، قال الله تعالى : ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ ﴾ [التوبة : ٦٧] .

النسيان في الاصطلاح: هو جهل ضروري بما كان يعلمه ـ لا بآفة علمه ـ بأمور كثيرة[2] .

حكم النسيان عموماً :

النسيان لا ينافي الوجوب في حق الله تعالى لبقاء القدرة بكمال العقل، ولا يكون عذراً في حقوق العباد ، لأنها محترمة لحاجتهم، وبالنسيان لا يفوت هذا الاحترام، فلو أتلف مال إنسان ناسياً ، يجب عليه الضمان .

وفي حقوق الله تعالى إن كان النسيان غالباً بأن كان غير مقرون مع مذكر كما في الصوم وسلام الناسي، يكون عفواً .

❖ مدرس في معهد الإمام البخاري، ومعهد طرابلس للعلوم الشرعية ، حائز على درجة الماجستير من جامعة الجنان طرابلس في الفقه المقارن ويقوم حالياً بإعداد رسالة الدكتوراه في نفس الجامعة وهي بعنوان: الخراج والضريبة المعاصرة في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة تحت إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي حفظه الله .

[1] مختار الصحاح للرازي دار الفكر بيروت (٦٥٨) .

[2] شرح نور الأنوار للميهوي . مع كشف الأسرار . دار الكتب العلمية (٢/٤٨٦) .

وأما إذا لم يكن غالباً، بأن كان مقروناً مع مذكر فلا يعذر كأكل المصلي .
وتفصيل هذه المسائل يأتي في بابه إن شاء الله .

وإنما هو عذر في حقوق الله تعالى باعتبار رفع الإثم . لقوله ﷺ: ((**إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**))[١]. فرفعت المؤاخذة رحمة وفضلاً[٢].

قال الحموي: (وهو لا ينافي الوجوب، لكمال العقل، وليست عذراً في حقوق العباد، لو أتلف مال إنسان يجب عليه الضمان، وفي حقوقه تعالى عذر في سقوط الإثم)[٣].

النسيان في الطهارة:

أمَّ قوماً وهو على غير وضوء ناسياً أو كان جنباً .

من المعلوم إذا صلى منفرداً وهو على غير وضوء ناسياً أو على جنابة ثم علم بذلك فعليه إعادة الصلاة، ولكن إذا أمَّ إمام قوماً وهو على غير وضوء ناسياً أو جنباً ثم تذكر وعلم فيما بعد فهل تجب إعادة الصلاة على الإمام والمأمومين معاً أم على الإمام فقط .

اختلف العلماء في هذه المسألة وذلك على قولين:

القول الأول: أن الإمام إذا نسي فصلى بالناس جنباً أو على غير وضوء ثم تذكر فيما بعد أنه على غير طهارة أعاد الصلاة وحده دون المأمومين وبه قال الجمهور[٤].

واستدلوا بما روى البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((**أيُّما إمام سها وصلى بقوم وهو جنب فقد تمت صلاتهم ثم يغتسل هو ويعيد**))[٥].

---

[١] أخرجه ابن ماجه باب طلاق المكره والناسي برقم (٢٠٤٥) والبيهقي باب ما جاء في طلاق المكره السنن الكبرى (٣٥٦/٧) والحاكم في المستدرك كتاب الطلاق (١٩٨/٢) وهو صحيح صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٦٦٤) .

[٢] كشف الأسرار للنسفي ومعه شرح نور الأنوار(٤٨٦/٢-٤٨٧) وشرح التلويح على التوضيح للتفتازاني دار الكتب العلمية بيروت (١٦٩/٢) .

[٣] غمز عيون البصائر، للحموي دار الكتب العلمية (٢٤٧/١) .

[٤] الأم للشافعي دار الكتب العلمية (١٦٧/١) والمقنع لابن البنا . ت . عبد العزيز اليغمي مكتبة الرشد بالرياض (٣٣٩/١) .

[٥] رواه الدارقطني باب صلاة الإمام وهو جنب . كتاب الصلاة . سنن الدارقطني (٢٨٥/١) رقم (١٣٥٣) وسكت عنه وضعفه الزيلعي في نصب الراية (٨٦/٢) .

وبما روي عن عمر وعثمان رضي الله عنهم وعلي أنهم أعادوا في ذلك ولم يعد من كان معهم وهو إجماع من الصحابة رضي الله عنهم .

روي أن عمر رضي الله عنه صلى بالناس الصبح ثم خرج إلى الجرف فأهراق الماء فوجد في ثوبه احتلاماً فأعاد ولم يعيدوا .

وأما عثمان رضي الله عنه صلى بالناس صلاة الفجر فلما أصبح وارتفع النهار فإذا وهو بأثر الجنابة فقال: كبرت والله كبرت والله . فأعاد الصلاة ولم يأمرهم أن يعيدوا .

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: إذا صلى الجنب بالقوم فأتمَّ بهم الصلاة أمره أن يغتسل ويعيد ولا آمرهم أن يعيدوا .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى بهم الغداة ثم ذكر أنه صلى بغير وضوء فأعاد ولم يعيدوا وهذا في محل الشهرة ولم ينقل خلافه فكان إجماعاً، ولم يثبت ما نقل عن علي رضي الله عنه في خلافه[١].

القول الثاني: أن الإمام إذا صلى بالناس جنباً وهو ناسٍ أو على غير وضوء وهو ناسٍ ثم تذكر أم علم بعد ذلك أعاد الإمام والمأمومون الصلاة . وبه قال الحنفية[٢].

واستدلوا بقول النبي ﷺ: ((**الإمام ضامن**))[٣].

وأقل ما يقتضيه التضمن التساوي فيتضمن كل فعل مما على الإمام مثله، وإذا كان كذلك فبطلان صلاة الإمام يقتضي بطلان صلاة المقتدي[٤].

واستدلوا كذلك بما روي عن أبي أمامة قال: صلى عمر رضي الله عنه بالناس جنباً فأعاد ولم يعد الناس. فقال له علي رضي الله عنه: قد كان ينبغي لمن صلى معك أن يعيد . قال: فرجعوا إلى قول علي[٥].

الترجيح: والذي يظهر من خلال الأدلة أن الذي يعيد هو الإمام فقط دون المأمومين لإجماع الصحابة رضي الله عنهم . ولم يثبت خلافه ولو ثبت لنقل . وأما ما نقل عن علي رضي الله عنه من إنكاره على عمر رضي الله عنه لم يصح عنه ذلك كما تقدم ولم ينقل[٦]، وقد تقدم قوله من أن الإمام هو الذي يعيد دون المأموم .

---

[١] المغني مع الشرح الكبير (٧٤١/١) .

[٢] فتح القدير (٣٨٤/١-٣٨٥) .

[٣] رواه أبو داود باب ما يجب على المؤذن في تعاهد الوقت . كتاب الصلاة . رقم (٥١٧) . والترمذي باب ما جاء أن الإمام ضامن . من أبواب الصلاة . رقم (٢٠٧) وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود (٤٨٦) وفي صحيح سنن الترمذي (١٧٠) .

[٤] فتح القدير(٣٨٥/١) .

[٥] رواه الدارقطني بدون الجزء الثاني منه وهو قول علي . باب صلاة الإمام وهو جنب . كتاب الصلاة . سنن الدارقطني رقم(١٣٥٦) . وعبد الرزاق بلفظ الدارقطني باب الرجل يصلي وهو جنب . كتاب الصلاة . رقم (٣٦٥٠) .

[٦] المغني لابن قدامة (٧٤١/١) وانظر نصب الراية للزيلعي تحقيق أيمن شعبان (٦٧/٢) .

ملاحظة: وأما إذا علم الإمام أو تذكر الحدث وهو داخل الصلاة أو علم المأمومون بذلك عليهم الإعادة جميعاً فيستأنفون الصلاة .

ترك الترتيب بين أعضاء الوضوء ناسياً:

إذا ترك المتوضئ الترتيب وكذلك الموالاة بين أعضاء الوضوء ناسياً هل يسقط عنه ويصح وضوؤه أم لا بدَّ من وجوب إعادة الوضوء إذا تذكر ذلك .

اختلف فيه على قولين:

القول الأول: يسقط الترتيب والموالاة في حال النسيان وبه قال كل من الحنفية والمالكية[1].

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة: ٦] ذكر بحرف الواو والمراد بها الجمع فيسقط مع النسيان .

وقوله ﷺ: ((**إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان**))[2] .

ولأن النسيان الأصل فيه في الشرع أنه معفو عنه إلى أن يقوم الدليل على غير ذلك[3].

القول الثاني: لا يسقط الترتيب ولا الموالاة بين الأعضاء في الوضوء في النسيان ويجب إعادته وهو واجب ليس بسنة وبه قال كل من الشافعية والحنابلة[4].

واستدلوا بآية المائدة وهي آية الوضوء التي تقدم ذكرها، وقالوا: فأدخل المسح بين الغسلين فدل على أنه قصد إيجاب الترتيب فلا يسقط بالنسيان .

وبما روي أن النبي ﷺ رأى رجلاً يصلي وفي ظهر قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء، فأمره النبي ﷺ أن يعيد الوضوء والصلاة[5]. فأمره النبي ﷺ بالإعادة وهذا يدل على أن الترتيب واجب، ولو لم يكن واجباً لما أمره بالإعادة وإنما أمره بغسل موضع اللمعة، وهذا يدل على أنه لا يسقط بالنسيان لأنه لا يمكن أن يكون تركه متعمداً .

---

(١) الاختيار (٩/١) بداية المجتهد (٥٤/١) .

(٢) تقدم .

(٣) الاختيار (٩/١) بداية المجتهد (١/ ٥٤ ـ ٥٥) .

(٤) المهذب (٨٣/١ ـ ٨٤) المغني (١٨٩/١) .

(٥) رواه مسلم باب وجوب استيعاب جميع أجزاء محل الطهارة . كتاب الطهارة . صحيح مسلم رقم (٢٤٣) وأبو داود باب ترتيب الوضوء . كتاب الطهارة رقم (١٧٥) .

الترجيح: لو نظرنا إلى الخلاف في هذه المسألة لعلمنا أن الذين قالوا بوجوب الترتيب والموالاة في الوضوء قالوا لا يسقط بالنسيان . وأن الذين قالوا ليس بواجب وإنما هو سنة قالوا يسقط بالنسيان . ولكن الأدلة تشير إلى الوجوب ولا يجوز تركه وأن كل من توضأ منكساً غير مرتب فعليه الإعادة ولا يكون وضوؤه صحيحاً .

والصحابي الذي أمره النبي ﷺ بإعادة الوضوء والصلاة معاً لأجل بقعة صغيرة لم يصبها الماء من قدمه لهو أكبر دليل على ترجيح القول الثاني، وهو محال أن يكون ترك هذا الموضع بدون غسل عن عمد والله أعلم .

ترك ترتيب قضاء الصلاة ناسياً:

إن الترتيب في قضاء الصلوات الفائتة واجب عند الجمهور ولا يجوز تركه خلافاً للشافعية فإنه لو قضاها بغير ترتيب جاز عندهم[١].

وعند الجمهور إذا نسي الترتيب بين الفوائت أو بين الفائتة والحاضرة حتى فرغ من الحاضرة فهل يسقط وجوب الترتيب أم لا بد أن يعيد الصلاة مرتبة الأولى ثم الثانية وهكذا؟

فقد ذهب الحنفية والحنابلة إلى أن من نسي الترتيب بين الفوائت حال قضائها أو بين فائتة وحاضرة فإنه يسقط الترتيب كما إذا خشي فوات الوقت فيصلي الحاضرة ثم الفائتة[٢].

ودليل سقوط الترتيب بالنسيان قوله ﷺ : ((**إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**))[٣].

ولأن النسيان هو شيء خارج عن قدرة الإنسان فلم يكن مقصراً فيعذر .

ولأن المنسية ليس عليها أمارة فجاز أن يؤثر فيها النسيان كالصيام .

إلا أنه عند المالكية إن نسي الترتيب بين الصلوات بأن صلى الحاضرة قبل الفائتة فإنه يستحب إعادتها في الوقت إدراكاً للكمال إلا أن الإعادة غير واجبة ولكن على الاستحباب[٤].

---

[١] المهذب (٩٤/١) .

[٢] فتح القدير (٥٠٦/١) كشاف القناع (٣٠٩/١) .

[٣] تقدم .

[٤] الشرح الصغير (٣٦٦/١) .

قضاء الصلاة على الناسي:

اتفق على أن من نسي صلاة وجب عليه قضاؤها متى ذكرها في أي وقت من ليل أو نهار إلا أنه يعذر بتأخيرها عن وقتها، ويسقط الإثم عنه لعذر النسيان[١].

أما وجوب القضاء فلقوله ﷺ: ((**من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك**))[٢].

وأما رفع الإثم عنه فلقوله ﷺ: ((**إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان**))[٣].

وقوله ﷺ: ((**ليس في النوم تفريط إنما التفريط على من لم يصلِّ حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى**))[٤] فنص على النوم ويقاس عليه الناسي كذلك. فهذه أدلة تدل على أن الناسي غير مؤاخذ.

قال ابن رشد: اتفق المسلمون على أنه يجب على الناسي وجوب القضاء [٥].

ومعلوم في هذا أنه إن كان ناشئاً من غير تقصير من العبد لأنه ليس مفرطاً، وإنما لو قصر العبد وفرط في الصلاة وأخرها عن وقتها الأفضل بسبب انشغال من غير حاجة، أو لهو حتى نسيها فيما بعد، لا شك في أن ذلك يدخل ضمن التفريط المذكور في الحديث.

وما أكثر انشغال الناس اليوم عن الصلاة بأمور لا قيمة لها ولا قدر، حتى إذا بقي من الوقت بعض الدقائق واللحظات قام فنقر صلاته نقراً وربما أخرها إلى بعد خروج وقتها.

وما أكثر الأحاديث والأخبار التي حذرت من ترك صلاة الجماعة لغير عذر - وليس هذا موضع سردها - فأين الناس عن هذه الصلاة التي هي دعامة الدين وأساسه فنسأل الله العافية.

---

[١] الاختيار (٦٣/١) الكافي لابن عبد البر (٢٢٣/١) المجموع (٦٨/٣) كشاف القناع (٢٦٢/١).

[٢] رواه البخاري (٦٣/١) بلفظ مغاير باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكر. كتاب مواقيت الصلاة. صحيح البخاري رقم (٥٩٧). ومسلم باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها. كتاب المساجد. صحيح مسلم رقم (٦٨٤).

[٣] تقدم.

[٤] رواه مسلم باب قضاء الصلاة الفائتة. كتاب المساجد. صحيح مسلم رقم (٦٨١). رواه أبو داود باب في من نام عن الصلاة أو نسيها. كتاب الصلاة. سنن أبي داود رقم (٤٤٠) والترمذي باب ما جاء في النوم عن الصلاة. من أبواب الصلاة. سنن الترمذي رقم (١٧٧) والنسائي باب فيمن نام عن صلاة. كتاب المواقيت. رقم (٦١٦) وابن ماجه باب من نام عن الصلاة أو نسيها. كتاب الصلاة. رقم (٦٩٨).

[٥] بداية المجتهد (٤٣٣/١).

الكلام في الصلاة ناسياً:

اختلف في الكلام داخل الصلاة ناسياً أو جاهلاً أو مخطئاً هل هو مفسد لها كالكلام من العامد أم لا ؟ وذلك على أقوال:

القول الأول: إذا تكلم المصلي في صلاته فسدت صلاته سواء تكلم عامداً أو ناسياً أو جاهلاً أو مخطئاً إلا السلام ناسياً أو ساهياً فلا يبطلها لأنه من الأذكار . وبه قال الحنفية وهو المذهب عند الحنابلة[١]. إلا أنه عندهم إن تكلم الإمام لمصلحتها فهو مستثنى منه .

القول الثاني: إذا تكلم في صلاته ناسياً أو جاهلاً أو مخطئاً لم تبطل صلاته إذا لم يطل الكلام وبه قال الشافعية وأحمد في رواية وقال به ابن حزم حتى ولو طال الكلام[٢].

القول الثالث: إن الكلام لا يفسد الصلاة إذا كان لمصلحتها وشأنها ولو كان عامداً وبه قال المالكية[٣].

الأدلة: أدلة القول الأول: استدل أصحاب القول الأول بأدلة منها:

أولاً: ما روي عن معاوية بن الحكم السلمي أنه قال: صليت خلف رسول الله ﷺ فعطس بعض القوم . فقلت: يرحمك الله، فرماني بعض القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أماه، ما لي أراكم تنظرون إليَّ شزراً ؟ فضربوا أيديهم على أفخاذهم، فعلمت أنهم يسكتونني، فلما فرغ النبي ﷺ دعاني، فوالله ما رأيت معلماً أحسن تعليماً منه، ما نهرني ولا زجرني ولكن قال: ((**إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هي التسبيح والتهليل وقراءة القرآن**))[٤].

بيَّن فيه الحظر حال العمد، والاتفاق على أنه حظر يرتفع إلى الإفساد وما كان مفسداً حالة العمد كان كذلك حالة السهو لعدم المزيل شرعاً، وذلك كالأكل .

ثانياً: ما روي عن زيد بن أرقم ﷺ أنه قال: كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام[٥].

---

[١] بدائع الصنائع (١٢٠/٢) ـ فتح القدير (٤٠٦/١) ـ المقنع لابن البنا (٣٩٢/١) .

[٢] الحاوي الكبير (١٧٧/٢) الروض المربع مع الحاشية (١٥٤/٢) المحلى (٣/٤) .

[٣] الاستذكار (٣٢٥/٤) ـ وبداية المجتهد (٢٩٣/١) .

[٤] رواه مسلم باب تحريم الكلام في الصلاة . كتاب المساجد . صحيح مسلم رقم (٥٣٧) ورواه غيره كذلك .

[٥] رواه البخاري باب ما ينهى من الكلام في الصلاة . كتاب العمل في الصلاة . صحيح البخاري رقم (١٢٠٠) . =

ثالثاً: وروي عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: خرجنا إلى الحبشة وبعضنا يسلم على بعض في صلاته فلما قدمت رأيت النبي ﷺ في الصلاة فسلمت عليه فلم يرد عليَّ فأخذني ما قدم وما حدث فلما سلم قال: ((**يا ابن أم عبد إن الله يحدث من أمره ما يشاء وإن مما أحدث ألا تتكلم في الصلاة**))[١].

فهذه الأحاديث تبين إفساد الصلاة بالكلام فيها عمداً وما كان مفسداً حالة العمد، كان كذلك حالة السهو لعدم المزيل شرعاً كالأكل والشرب[٢].

أدلة القول الثاني: واستدل الشافعية على قولهم بأدلة منها:

أولاً: قول الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

ثانياً: قوله ﷺ: ((**إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**))[٣].

ثالثاً: ما روي عن أبي هريرة ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ العصر . فسلم من ركعتين فقال ذو اليدين: أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ فقال: ((**أحق ما قال ذو اليدين؟**)) قالوا: نعم . فأتم ما بقي عليه وسجد للسهو وهو قاعد بعد أن سلم[٤].

فلو كان الكلام إذا وقع سهواً أبطل الصلاة لوجب عليه ﷺ أن يستأنف صلاته فلما لم يستأنف وأتم صلاته علم أنه لا يبطلها الكلام إذا كان عن سهو، وهو خلاف العمد[٥].

واستدل المالكية: بحديث ذي اليدين . فهو تكلم من أجل مصلحة الصلاة فلم يبطلها .

قال ابن رشد: ظاهره أن النبي ﷺ تكلم والناس معه وأنهم بنوا بعد التكلم ولم يقطع ذلك التكلم صلاتهم . فمن أخذ بهذا الظاهر ورأى أن هذا شيء يخص الكلام لإصلاح الصلاة استثنى هذا من ذلك العموم، وهو مذهب مالك بن أنس[٦].

= ومسلم باب تحريم الكلام في الصلاة كتاب المساجد صحيح مسلم رقم (٥٣٩) وغيرهما .

[١] رواه البخاري بمعناه . باب هجرة الحبشة . كتاب مناقب الأنصار . صحيح البخاري رقم (٣٨٧٥) ومسلم بلفظ مغاير . باب تحريم الكلام في الصلاة . كتاب المساجد صحيح مسلم رقم (٥٤٠) وغيرهما .

[٢] تبيين الحقائق (١/١٥٤) ـ فتح القدير (١/٤٠٦) .

[٣] تقدم .

[٤] رواه البخاري باب إذا سلم في ركعتين . كتاب السهو . صحيح البخاري رقم (١٢٢٧) ومسلم باب السهو في الصلاة والسجود له . كتاب المساجد . صحيح مسلم رقم (٥٧٣) وغيرهما .

[٥] الحاوي الكبير (٢/١٧٨)

[٦] بداية المجتهد (١/ ٢٩٤) .

المناقشة: مناقشة أدلة القول الأول: ناقش الشافعية أدلة القول الأول،فقالوا: أما حديث معاوية بن الحكم يقتضي فساد الكلام لإفساد الصلاة، على أن الحديث حجة لنا . لأنه تكلم جاهلاً بتحريم الكلام فلم تبطل صلاته، ولا أمره النبي ﷺ بإعادتها . والجاهل بتحريم الكلام في حكم المتكلم ناسياً .

وأما احتجاجهم بحديث ابن مسعود ﷺ يجاب عنه بجوابين: أحدهما: أن حديث ذي اليدين أولى منه لتأخره عنه . الثاني: أن النهي وارد في عمد الكلام دون سهوه، لأن السهو غير مقصود فلم يجز أن يتوجه النهي إليه مع تعذر الاحتراز منه(١).

وكذلك حديث زيد بن أرقم ﷺ يحمل على العمد .

مناقشة أدلة القول الثاني:

أما الآية والحديث الأول: فمحمول ذلك على رفع الإثم(٢). فإنه لا يأثم لتكلمه في الصلاة ناسياً أو جاهلاً أو مخطئاً وليس معنى ذلك أنه لا يبطل صلاته .

وأما حديث ذي اليدين فهو منسوخ بما روينا من الأحاديث التي بينت عدم جواز الكلام في الصلاة . ثم إنهم تكلموا كلاماً عمداً كثيراً وهم يقولون يبطل الكلام إذا كثر الصلاة، بخلاف القليل(٣).

ومما يدل على أنه منسوخ ما روى الطحاوي في معاني الآثار عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه صلى بأصحابه فسلم في ركعتين ثم انصرف . فقيل له في ذلك فقال: إني جهزت عيراً من العراق بأحمالها وأحقابها حتى ولجت المدينة، وقال: فصلى بهم أربع ركعات(٤).

وقد كان عمر ﷺ فعل هذا بحضرة أصحاب رسول الله ﷺ الذين قد حضر بعضهم فعل رسول الله ﷺ يوم ذي اليدين فلم ينكروا ذلك عليه .

ومما يدل كذلك على أنه منسوخ والعمل على خلافه إجماعهم على أن رجلاً لو ترك إمامه من صلاته شيئاً أنه يسبح به ليعلم إمامه ما قد ترك فيأتي به . وذو اليدين لم يسبح برسول الله ﷺ ولم ينكر رسول الله ﷺ كلامه إياه، فدل أن ما علم رسول الله ﷺ الناس من التسبيح في الصلاة لنائبة تنوبهم في الصلاة كان متأخراً عن ذلك(٥).

---

(١) الحاوي الكبير (٢/٨٠) .

(٢) المبسوط (١/١٧١) حاشية ابن عابدين (١/٦١٤) .

(٣) المبسوط (١/١٧١) تبيين الحقائق (١/١٥٥) .

(٤) أخرجه الطحاوي باب الكلام في الصلاة . كتاب الصلاة . شرح معاني الآثار رقم (٢٦٠٤) .

(٥) اللباب في الجمع بين السنة والكتاب (١/٢٩٥) .

وأما ما قيل من أن إسلام أبي هريرة كان متأخراً وهو راوي حديث ذي اليدين .

أجيب: بجواز أن يرويه عن غيره ولم يكن حاضراً الصلاة مع النبي ﷺ[١].

وأما قولهم: بأنه لم يأمر معاوية بن الحكم بالإعادة .

أجيب كما قال السهارنفوري: (فالجواب عنه بأن عدم حكاية الأمر بالإعادة لا يستلزم العدم، وغايته أنه لم ينقل إلينا)[٢].

جواب الشافعية ومن قال بقولهم على دعوى النسخ:

قالوا: إن حديث ذي اليدين رواه أبو هريرة ﷺ وكان إسلامه في السنة السابعة من الهجرة، وابن مسعود ﷺ روى تحريم الكلام قبل الهجرة بمكة عند عوده من أرض الحبشة، وأن النبي ﷺ سجد للسهو بعد سلامه في حديث ذي اليدين، ولو كان الكلام مباحاً لم يسجد لأجله[٣].

وقال ابن عبد البر: (أما ما ادعاه العراقيون من أن حديث أبي هريرة في قصة ذي اليدين منسوخ بحديث ابن مسعود وزيد بن الأرقم رضي الله عنهما فغير مسلم لهم ما ادعوا من نسخه، ولكنه خص من تحريم الكلام معنى ما تضمنه، لأن حديث أبي هريرة يوم ذي اليدين كان في المدينة وقد شهده أبو هريرة وإسلامه كان عام خيبر ، هذا مما لا خلاف بين العلماء فيه)[٤].

وقال كذلك: (ولو صح للمخالفين ما ادعوه من نسخ حديث أبي هريرة ﷺ بتحريم الكلام في الصلاة لم يكن لهم في ذلك حجة . لأن النهي عن الكلام في الصلاة إنما توجه إلى العامد القاصد لا إلى الناسي. لأن النسيان متجاوز عنه، والناسي والساهي ليسا ممن دخل تحت النهي لاستحالة ذلك في النظر)[٥].

وأما ما قالوه من أنه يمكن أن أبا هريرة ﷺ رواه عن غيره ولم يكن حاضراً، فهو مردود وذلك لأنه جاء في بعض الروايات صلى بنا رسول الله ﷺ وهي الرواية التي مرت معنا كما تقدم . وهذا يدفع الإشكال من أنه قد يكون رواه عن غيره[٦].

---

[١] حاشية ابن عابدين (٦١٥/١) .

[٢] بذل المجهود (٢١٥/٥) .

[٣] الحاوي الكبير (١٧٩/٢) .

[٤] الاستذكار (٣٣٠/٤) .

[٥] الاستذكار (٣٤٢/٤، ٣٤٣) .

[٦] انظر تفصيل ذلك وأن أبا هريرة شهد قصة ذي اليدين في الصلاة في نصب الراية (٨١/٢) وما بعدها .

الترجيح: والذي يظهر من خلال ما تقدم أن الكلام في الصلاة ناسياً لا يفسدها . وهو قول الشافعية ورواية عن أحمد وهو قول الظاهرية وذلك لقوة الأدلة في ذلك .

وأما الأدلة الأخرى فإنها تحمل على الكلام العمد وقد تقدم مناقشتها .

وأما قولهم بأن عدم حكاية الأمر بالإعادة لا يستلزم العدم، وغايته أنه لم ينقل إلينا .

يمكن أن يجاب عنه بأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، وقد حصل ذلك أمام العدد الكبير من الصحابة ولو أمره بالإعادة لكان نقل ذلك لوفرة عددهم .

وأما ما روي عن عمر ﷺ ـ في حال صحته ـ لعل المراد قوله: فصلى بهم أربع ركعات أنه أتم الصلاة حتى صلى أربع ركعات . والله أعلم .

الأكل والشرب ناسياً في الصلاة:

إذا أكل المصلي أو شرب ناسياً وهو في صلاته فهل تبطل صلاته أم لا ؟ اختلف فيه على قولين:

القول الأول: إن الصلاة لا تبطل بالأكل ناسياً وجاهلاً وبه قال الشافعية والحنابلة إلا أنه مقيد عند الحنابلة بالقليل، وأما الكثير فيبطلها[١].

لقوله ﷺ: ((**إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**))[٢].

وبالقياس على الصوم، فكما أن الصوم لا يفسد بالأكل والشرب ناسياً فكذلك الصلاة .

القول الثاني: إن الأكل والشرب في الصلاة مفسد لها لأنهما منافيان للصلاة ولا فرق في ذلك بين العمد والنسيان . وبه قال الحنفية .

وذلك لأن الأكل عمل كثير، وحالة الصلاة مذكرة فلا يكون الأكل فيها ناسياً كالأكل في الصوم ناسياً والصلاة على هيئة تخالف العادة لما فيها من لزوم الطهارة والإحرام والخشوع واستقبال القبلة، والانتقالات من حال إلى حال مع ترك النطق الذي هو كالنفس، كل ذلك في زمن يسير، فيكون الأكل والشرب فيها في غاية البعد فلا يعذر[٣].

الترجيح: وهذا الأخير مما تميل إليه النفس . لأن حالة الصلاة مذكرة بخلاف الصوم فلا يقاس عليه . والله أعلم .

---

[١] المهذب (٢٩٢/١) الروض المربع مع الحاشية (٢/ ١٤٨) .

[٢] تقدم .

[٣] تبيين الحقائق (١٥٩/١) . فتح القدير (٤٢٥/١) .

والفرق في هذه المسألة وبين المسألة التي قبلها أن الأولى وهي في الكلام قد تقع من المصلي دون شعور ولا انتباه . لأن الصلاة فيها كلام من تلاوة للقرآن وتسبيح وتكبير وغير ذلك بخلاف الأكل والشرب فإن حالة الصلاة مذكرة بالنسبة لذلك .

ترك بعض أمور الصلاة ناسياً أو السهو في الصلاة:

النسيان هو سبب سجود السهو في الصلاة، وهناك فرق بين النسيان والسهو، ونذكر ذلك باختصار، وذلك بيان موضع سجود السهو بعد بيان الأخبار التي وردت فيه، وقد ورد في سجود السهو أحاديث كثيرة منها:

حديث ذي اليدين: روى أبو هريرة ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ العصر فسلم من اثنتين فقال ذو اليدين: أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله فقال: ((أحق ما قال ذو اليدين)) قالوا: نعم . فأتم ما بقي عليه وسجد للسهو وهو قاعد بعد أن سلم[١] .

ومنها: حديث أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: ((**إن أحدكم إذا قام يصلي جاءه الشيطان فلبس عليه حتى لا يدري كم صلى، فإذا وجد أحدكم ذلك فليسجد سجدتين وهو جالس**))[٢] .

ومنها: حديث أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدرِ كم صلى ثلاثاً أم أربعاً فليطرح الشك وليبنِ على ما استيقن، ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم، فإن كان صلى خمساً شفعن له صلاته، وإن صلى إتماماً لأربع كان ترغيماً للشيطان**))[٣] .

ومنها: حديث عبد الله بن مسعود ﷺ: أن النبي ﷺ صلى الظهر خمساً فلما سلم قيل له: أزيد في الصلاة ؟ قال: ((**وما ذاك**)) قالوا: صليت خمساً فسجد سجدتين[٤] .

ومنها: حديث عبد الله بن بحينة ﷺ قال: صلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين في بعض الصلوات ثم قام فلم يجلس فقام الناس معه، فلما قضى صلاته ونظرنا تسليمه كبر فسجد سجدتين وهو جالس قبل التسليم ثم سلم[٥] .

---

[١] تقدم .

[٢] رواه البخاري باب السهو في الفرض والتطوع . كتاب السهو . صحيح البخاري رقم (١٢٣٢) ومسلم باب السهو في الصلاة والسجود له . كتاب المساجد صحيح . مسلم رقم (٣٨٩) وغيرهما .

[٣] رواه مسلم باب السهو في الصلاة والسجود له . كتاب المساجد . صحيح مسلم رقم (٥٧١) .

[٤] رواه البخاري باب إذا صلى خمساً كتاب السهو صحيح البخاري رقم (١٢٢٦) ومسلم باب السهو في الصلاة والسجود له كتاب المساجد صحيح مسلم رقم (٥٧٢) وغيرهما .

[٥] رواه البخاري باب ما جاء في السهو إذا قام من ركعتي الفريضة . كتاب السهو . صحيح البخاري رقم (١٢٢٤) ومسلم باب السهو في الصلاة والسجود له . كتاب المساجد . صحيح مسلم رقم (٥٧٠) وغيرهما .

فهذه خمسة أحاديث عليها مدار أحكام هذا الباب ودلت هذه الأحاديث فيما دلت عليه على أمور:

الأول: دلت على مشروعية سجود السهو لمن نسي شيئاً من الصلاة، أو زاد عليها عن المفروض

الثاني: أن هذه المشروعية تكون في ثلاث حالات:

١. حالة الزيادة على المفروض كما في حديث ابن مسعود .

٢. حالة النقص عن المفروض كما في حديث ذي اليدين .

٣. حالة الشك كما في حديث أبي سعيد .

الثالث: دلت على صفة سجود السهو وأنه سجدتان .

ويبقى النظر بعد هذا في محل السجود هل يكون قبل السلام أو بعده ؟

اختلف العلماء في ذلك لاختلاف الأحاديث فيه:

أما الحنفية: قالوا: يسجد بعد السلام سجدتين ثم يتشهد ويسلم[١]. لقوله ﷺ: ((لكل سهو سجدتان بعد ما يسلم))[٢].

وروى عمران بن حصين وجماعة من الصحابة ﷺ أنه ﷺ سجد سجدتي السهو بعد السلام[٣].

ولأن سجود السهو مما لا يتكرر، فيؤخر عن السلام حتى لو سها في السلام ينجبر به .

وأما المالكية: قالوا: إن محل سجود السهو سجدتان قبل السلام ويسجد لمحض الزيادة بعد السلام[٤].

وأما الشافعية: قالوا: إن محل سجدتي السهو قبل السلام[٥]. لحديث أبي سعيد وفيه: ثم سجد سجدتين قبل أن يسلم[٦]. وحديث ابن بحينة وفيه: فسجد سجدتين وهو جالس قبل التسليم ثم سلم[٧].

---

[١] الهداية (٧٤/١)، الاختيار (٧٢/١) .

[٢] رواه أبو داود باب من نسي أن يتشهد وهو جالس . كتاب الصلاة . سنن أبي داود رقم (١٠٣٨) . وابن ماجه باب ما جاء فيمن سجدهما بعد السلام . كتاب إقامة الصلاة . سنن ابن ماجه رقم (١٢١٩) . وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩١٧) وفي صحيح سنن ابن ماجه (١٠٠٥) .

[٣] رواه النسائي باب ذكر الاختلاف على أبي هريرة في السجدتين . كتاب السهو . سنن النسائي صحيح الإسناد رقم (١٢٣٣) والدارقطني رقم (١٣٩٦) .

[٤] الشرح الصغير (١٧٨/١ ـ ١٧٩) .

[٥] الحاوي الكبير (٢١٥/٢ ـ) المهذب (٣٠٥/١) .

[٦] تقدم .

[٧] تقدم .

ولأن سجود السهو إنما يفعل لإصلاح الصلاة، فلزم أن يكون قبل السلام، كما لو نسي سجدة من الصلاة . ولأنه كذلك سجود عن سبب وقع في صلاته، فوجب أن يكون محله في الصلاة قياساً على سجود التلاوة . وسجود السهو إنما هو جبران للصلاة فوجب أن يكون محله في الصلاة .

وأما الحنابلة: فقد ذهبوا فيما نقل عن أحمد إلى أنه يسجد سجدتي السهو قبل السلام في المواضع التي سجد فيها النبي ﷺ قبل السلام، وبعد السلام في المواضع التي سجد فيها النبي ﷺ بعد السلام، وفيما عداها يسجد قبل السلام[1].

فيكون بذلك في حالة النقص في الصلاة يكون السجود بعد السلام كما في حديث ذي اليدين، وفي حالة الزيادة قبل السلام . وفي غير ذلك قبل السلام .

الترجيح: الذي يظهر أن الأرجح من هذه الأقوال قول الحنابلة . وذلك لأنه عمل في جميع الأحاديث والنصوص،وهي صحيحة ثابتة فيجمع بينها،ويكون ذلك أقرب للصواب لأنه اقتداء بالنبي ﷺ . والناظر في أقوال الفقهاء يعلم أن من سجد قبل السلام أو بعده أجزأه ذلك ولكنهم مختلفون في الأفضل، والأفضل هو ما كان عليه فعله ﷺ .

الأكل والشرب ناسياً في الصوم:

إذا أكل أو شرب الصائم ناسياً فهل يفسد صومه أم لا؟ اختلف فيه على قولين:

القول الأول: من أكل أو شرب ناسياً صومه، فسد صومه وعليه قضاء ذلك اليوم . وبه قال المالكية في الفرض، بخلاف النفل فلا شيء عليه[2].

لأن ما يفسد الصوم على وجه العمد فإنه يفسده على وجه النسيان . وأما ما ورد من الأحاديث فالمراد به نفي الإثم لا نفي القضاء[3].

القول الثاني: من أكل أو شرب ناسياً أو فعل شيئاً من المفطرات غير الجماع وهو غير ذاكر لصومه، فإن صومه صحيح ولا شيء عليه، ولا فرق في ذلك بين الفرض والنفل. وبه قال الجمهور[4].

---

[1] المغني (٤١٥/٢) الروض المربع مع الحاشية (١٧٧/٢) .

[2] الكافي لابن عبد البر (٣٤١/١) المنتقى (٦٥/٢) .

[3] الذخيرة (٥٢١/٢) .

[4] بدائع الصنائع (٥٩٩/٢) . نهاية المحتاج (١٧٢/٣) . كشاف القناع (٩٧٩/٣) .

واستدلوا بأدلة منها:

أولاً: قوله ﷺ: ((**إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**))[١].

ثانياً: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه [٢].

ثالثاً: وما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: ((**إذا أكل الصائم ناسياً أو شرب فإنما هو رزق ساقه الله إليه فلا قضاء عليه**))[٣].

رابعاً: وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((**من أفطر في رمضان ناسياً فلا قضاء عليه ولا كفارة**))[٤].

وهذه أخبار صريحة وبينة في صحة صومه وأنه لا شيء عليه، لا قضاء ولا كفارة .

خامساً: أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: إني كنت صائماً فأكلت وشربت ناسياً فقال: ((**أتم صومك، الله أطعمك وسقاك**))[٥]. وهذه الأخبار كلها ثابتة[٦].

قال الخطابي: وفيه دليل على أن لا قضاء على المفطر ناسياً وذلك أن النسيان من باب الضرورة، والضرورات من فعل الله سبحانه ليست من فعل العباد، ولذلك أضاف الفعل في ذلك إلى الله سبحانه[٧].

الترجيح: مما لا شك فيه أن الراجح هو القول الثاني وهو قول الجمهور للأدلة الصحيحة الثابتة، وحالة الصوم غير مذكرة . والله أعلم .

---

[١] تقدم .

[٢] رواه البخاري باب الصائم إذا أكل أو شرب ناسياً . كتاب الصوم . صحيح البخاري رقم (١٩٣٣) ومسلم باب أكل الناسي وشربه وجماعه لا يفطر كتاب الصيام صحيح مسلم رقم (١١٥٥) .

[٣] رواه الدارقطني كتاب الصيام رقم (٢٢٢١) .

[٤] رواه الدارقطني كتاب الصيام رقم (٢٢٢٢) .

[٥] رواه أبو داود باب من أكل ناسياً . كتاب الصوم (٢٣٩٨) والدارقطني كتاب الصيام رقم (٢٢٢٩) .

[٦] انظر: نصب الراية (٥/٣) .

[٧] معالم السنن (٧٩٠/٢) .

الجماع ناسياً في الصوم:

إذا جامع الصائم ناسياً في نهار رمضان فهل يفسد صومه أم لا؟ وهل حكمه يختلف عن حكم الشرب والأكل أم الحكم واحد؟

اختلف فيه على أقوال:

القول الأول: من جامع في نهار رمضان ناسياً لم يفسد صومه ولا شيء عليه، كالأكل والشرب في ذلك، وبه قال كل من الحنفية والشافعية[1].

واستدلوا بالأدلة السابقة في الأكل والشرب وقالوا: إذا ثبت هذا في الأكل والشرب ثبت في الوقاع، وذلك للاستواء في الركنية[2].

القول الثاني: من جامع ناسياً في نهار رمضان فإن حكمه حكم العامد فعليه القضاء والكفارة وبه قال الحنابلة[3].

وأما المرأة إذا جومعت ناسية فعليها القضاء دون الكفارة[4].

لأن الذي واقع امرأته أمره النبي ﷺ بالكفارة ولم يسأله عن العمد، ولو افترق الحال بين النسيان والعمد لسأل واستفصل، فلما لم يستفصل عُلم أنه لا فرق بين العامد والناسي في ذلك.

ولأن الصوم عبادة تحرم الوطء فاستوى فيها عمده وسهوه كالحج، وإفساد الصوم ووجوب الكفارة حكمان يتعلقان بالجماع لا تسقطهما الشبهة فيستوي فيها العمد والسهو كسائر أحكامه[5].

القول الثالث: من جامع ناسياً في نهار رمضان فعليه القضاء دون الكفارة كالأكل والشرب وبه قال المالكية[6].

الترجيح: والذي يظهر أنه لا فرق بين الجماع والأكل والشرب في حالة النسيان. والأدلة التي وردت في الأكل والشرب تشمل الجماع كذلك وذلك لعدم وجود دليل يوجب القضاء والكفارة على من جامع ناسياً.

---

[1] الاختيار (١٣٣/١) مغني المحتاج (٦٣٠/١).

[2] الهداية مع نصب الراية (٣/٥) فتح القدير (٣٣٢/٢).

[3] المغني (٣٧٤/٤) الروض المربع مع الحاشية (٤٠٩/٣).

[4] كشاف القناع (٩٨٤/٣).

[5] المغني (٣٧٤/٣) - ٣٧٥).

[6] الكافي لابن عبد البر (٣٤١/١) الشرح الصغير (٧٠٤/١).

ولأن حالة الصوم ليست مذكرة بخلاف الحج فإن حالته مذكرة من لباس الإحرام والامتناع عن أشياء كثيرة كالطيب وحلق الشعر وتقليم الأظافر وتغطية الرأس ونحو ذلك، تجعله دائماً في حالة تذكر بخلاف الصوم .

وأما عدم الاستفسار من النبي ﷺ لمن واقع أهله، لأنه كان معلوماً لدى الصحابة رضي الله عنهم أن النسيان يختلف حكمه عن العمد لهذا لم يستفصل منه والله أعلم .

الخروج من المعتكف ناسياً:

إذا خرج المعتكف من المسجد ناسياً أو جاهلاً لم يبطل اعتكافه، ولم ينقطع التتابع، وإنما يبني على اعتكافه بمجرد تذكره وعلمه، وإذا تأخر في الرجوع إلى معتكفه لغير عذر بعد تذكره وعلمه بطل وانقطع اعتكافه، وبه قال الجمهور[١] غير الحنفية، لقوله ﷺ: ((**إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان**))[٢].

ولأنه لو أكل في الصوم ناسياً لم يبطل صومه فكذلك إذا خرج من معتكفه ناسياً لم يبطل ولا ينقطع .

وقال الحنفية: إذا خرج المعتكف من معتكفه ناسياً بطل اعتكافه، لأنه لا يعتبر من الحاجة ولا يجوز الخروج إلا لحاجة وإلا فسد الاعتكاف[٣].

الترجيح: الراجح في المسألة أنه لم يبطل اعتكافه إذا خرج ناسياً حكمه، حكم الصوم في ذلك . وأما قولهم إنه لا يجوز الخروج إلا لحاجة . لا شك أن النسيان عذر من الأعذار والله أعلم .

الجماع ناسياً في الاعتكاف:

إذا جامع المعتكف ناسياً فهل يفسد اعتكافه أم لا؟

معلوم أن الجماع أثناء الاعتكاف لا يجوز ويفسد الاعتكاف، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ ﴾ [البقرة: ١٨٧]

هذا الحكم في العمد فهل يستوي النسيان بالعمد أم لا؟

القول الأول: إذا جامع المعتكف ناسياً اعتكافه أو جاهلاً لم يفسد اعتكافه . وبه قال الشافعية[٤]. لقوله ﷺ: ((**إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**))[٥] .

---

[١] نهاية المحتاج (٢٣١/٣) كشاف القناع (١٠٢٤/٣) .

[٢] تقدم .

[٣] حاشية ابن عابدين (٢/ ٤٤٧) الفتاوى السندية (٢١٢/١) .

[٤] المهذب (٦٥١/٢) .

[٥] تقدم .

وبالقياس على الصوم، فكما أن الصوم لا يفسد بالجماع ناسياً فكذلك الحكم في الاعتكاف .

القول الثاني: إذا جامع المعتكف ناسياً بطل اعتكافه كالعمد . وبه قال الجمهور[1].

وذلك لأن حالة الاعتكاف مذكرة فلا يعذر بالنسيان كالحج . بخلاف الصوم فإن حالته غير مذكرة فيعذر .

وهذا ما تميل إليه النفس لأن حالة الاعتكاف مذكرة وهو في داخل المسجد لا يخرج منه إلا لحاجة .

ويمكن أن يقاس على الصوم بأن حالته غير مذكرة، وذلك في حالة خروجه لحاجة معينة ثم يجامع في خارج معتكفه وهو خارج لحاجته والله أعلم .

في محظورات الإحرام (النسيان في المحظورات):

ومن المعلوم أن الإحرام له محظورات لا يجوز للمحرم فعلها، وإن فعلها عامداً فعليه فدية . ولكن إذا فعل محظوراً من المحظورات عن غير عمد وهو ناسٍ فما الحكم في ذلك؟

أقسم هذه المحظورات إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: اللبس والتطيب وتغطية الرأس ناسياً في الإحرام:

إذا لبس المحرم مخيطاً أو غطى رأسه أو تطيب من غير عمد، وإنما ناسياً أو جاهلاً فهل عليه فدية كالعامد أم لا ؟ اختلف فيه على قولين:

القول الأول: لا فرق بين العامد والناسي في وجوب الفدية على من فعل ذلك حال إحرامه . وبه قال كل من الحنفية والمالكية وأحمد في رواية[2].

القول الثاني: إذا فعل المحرم من هذه المحظورات الثلاثة شيئاً ناسياً أو جاهلاً لم تلزمه الفدية . فإن ذكر أو علم لزمه المبادرة إلى إزالته، فإن أخر مع الإمكان لزمه الفدية . وبه قال الشافعية وهو المذهب عند الحنابلة[3].

الأدلة: استدل أصحاب القول الأول بأدلة وهي:

أن الكفارة تجب في حال الذكر والطوع لوجود ارتفاق كامل، وهذا يوجد في حال الكره والسهو . وفعل الناسي والمكره موصوف بكونه جناية، وإنما أثر النسيان والإكراه في ارتفاع المؤاخذة في الآخرة .

---

[1] الاختيار (١٣٨/١) مواهب الجليل (٤٥٧/٢) حاشية الروض المربع (٤٩٢/٣) .

[2] بدائع الصنائع (٢١٤/٣)، الكافي لابن عبد البر (٣٨٩/١)، الإنصاف (٤٧٦/٣) .

[3] الحاوي الكبير (١٠٥/٤) المجموع (٣٠٧/٧) المغني (٣٩١/٥) .

ولأن فيه هتكاً لحرمة الإحرام فاستوى عمده وسهوه كحلق الشعر وتقليم الأظافر .

ولأن في الإحرام أحوالاً مذكرة يندر النسيان معها غاية الندرة، فكان ملحقاً بالعدم، فلا يقاس على الصوم لأنه لا مذكر له، بل يقاس على الصلاة[١].

أدلة القول الثاني: استدلوا بأدلة منها:

عموم قوله ﷺ: ((**إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**))[٢].

وروى يعلى بن أمية أن رجلاً أتى النبي ﷺ وهو بالجعرانة[٣]وعليه جبة وأثر خلوق أو قال: أثر صفرة فقال: يا رسول الله كيف تأمرني أن أصنع في عمرتي ؟ قال: ((**اخلع عنك هذه الجبة واغسل عنك أثر الخلوق أو قال أثر الصفرة واصنع في عمرتك كما تصنع في حجك**))[٤].

فلم يأمره النبي ﷺ بالفدية مع مسألته عما يصنع وتأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز إجماعاً، فدلّ على أنه عذره لجهله، والجاهل والناسي واحد .

وبالقياس على الصوم، لأن الحج عبادة يجب بإفسادها الكفارة فكان في محظوراته ما يفرق بين عمده وسهوه كالصوم[٥].

الترجيح: والأظهر من القولين هو القول الثاني القاضي بأن من فعل من هذه المحظورات شيئاً لم تلزمه الفدية، وذلك للأدلة التي ذكرناها وهي في بابها والله أعلم .

وأما قولهم: بأن حالة الحج مذكرة فقولهم صحيح، ولكن ورود نص في ذلك وهو حديث يعلى بن أمية يرد قولهم .

القسم الثاني: الحلق وتقليم الأظافر وقتل الصيد ناسياً في الإحرام .

وأما إذا حلق رأسه، أو قلم أظفاره، أو قتل صيداً، لا فرق بين العامد وغيره كالناسي والجاهل في الفدية عليه اتفاقاً[٦].

---

[١] بدائع الصنائع (٢١٤/٣) .

[٢] تقدم .

[٣] هي ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب معجم البلدان (١٦٥/٢) .

[٤] رواه البخاري باب إذا أحرم جاهلاً وعليه قميص . كتاب جزاء الصيد . صحيح البخاري رقم (١٨٤٧) ومسلم باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة وما لا يباح . كتاب الحج . صحيح مسلم رقم (١١٨٠) .

[٥] المهذب (٧٢٧/٢)، المغني (٣٩١/٥ ـ ٣٩٢) .

[٦] الاختيار (١٦٦/١) جواهر الإكليل (١٩٦/١) المجموع (٣٠٧/٧) الكافي لابن قدامة (٤١٤/١) .

وذلك لأنه إتلاف فاستوى في ضمانه العمد والسهو كإتلاف مال الآدمي .

وعن أحمد في قتل الصيد رواية أخرى، بأنه لا كفارة في قتل الصيد خطأ . وهو قول ابن حزم لقوله تعالى: ﴿ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا ﴾ [المائدة: ٩٥] فدليل خطابه أنه لا جزاء على الخاطئ . لأن الأصل براءة ذمته، فلا يشغلها إلا بدليل .

وبالقياس على الطيب واللبس، فكما أن المخطئ والناسي إذا لبس أو تطيب لا يجب عليه الفدية، فكذلك قتل الصيد خطأ[١].

ودليل وجوب الفدية في الخطأ كالعمد في قتل الصيد:

ما روي عن طارق بن شهاب قال: خرجنا مهللين بالحج، فرحنا عشية، فبدا الناضب فابتدرناه، ونسينا إهلالنا في الحج، فانصدر إليه رجل منا يقال له أربد فقتله . فقلنا ما صنعتم ألسنا محرمين، فلما قدمنا مكة صار أربد إلى عمر فذكر ذلك له، فقال له عمر: أحكم ؟ فقال أنت أمير المؤمنين وأعلم مني . قال: فإني أحكم جدياً قد جمع الماء والشجر يكون قد أكل وشرب . قال: فهو كما حكمت[٢].

وأما رفع الخطأ والنسيان محمول على رفع الإثم عنه .

والقياس على الطيب واللباس، فالمعنى في الطيب واللباس أنه استمتاع فافترق حكم عمده وسهوه، وقتل الصيد إتلاف فاستوى حكم عمده وسهوه[٣].

وإنما خص العمد بالذكر في الآية لأجل أن يرتب عليه الانتقام عند العود لأن العمد هو الذي يرتب عليه ذلك دون الخطأ[٤].

القسم الثالث: جماع المحرم ناسياً: إذا جامع المحرم حال إحرامه ناسياً أو جاهلاً فهل حكمه حكم العمد في إفساد نسكه ووجوب الفدية أم لا ؟ اختلف فيه على قولين:

القول الأول: لا فرق بين العامد والناسي في ذلك ولا المخطئ ولا الجاهل . بل حكم الجميع حكم العامد في إفساد نسكه ووجوب الفدية وبه قال الجمهور[٥].

لأنه سبب يتعلق به وجوب القضاء في الحج فاستوى عمده وسهوه كالفوات .

---

[١] المغني (٣٩٦/٥)، المحلى (٢١٥/٧) .

[٢] رواه البيهقي باب جزاء الصيد بمثله من النعم، كتاب الحج، السنن الكبرى (١٨٢/٥) .

[٣] الحاوي الكبير (٢٨٣/٤ ـ ٢٨٤) .

[٤] تفسير آيات الأحكام للسايس (٢١٤/٢) .

[٥] تبيين الحقائق (٨٥/٢)، الشرح الصغير (٩٣/٢) الفروع (٢٨٨/٣) .

وأما القياس على الصوم ممنوع[1] وذلك لأن حالة الإحرام مذكرة بخلاف الصوم فإن حالته غير مذكرة فافترقا .

القول الثاني: إذا جامع المحرم ناسياً أو جاهلاً فلا يفسد نسكه ولا كفارة عليه وبه قال الشافعية في الأصح وابن حزم[2].

وذلك لقوله ﷺ: ((**إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**))[3].

وبالقياس على الصوم، لأنه وطء يجب في عمده القضاء والكفارة، فوجب أن يفترق حكم عمده وسهوه كالوطء في الصوم .

وأجيب عنه: بأن حالة الإحرام مذكرة بخلاف حالة الصوم فإنها غير مذكرة فافترقا .

وكذلك بالقياس على الطيب، لأنه استمتاع ناسٍ فوجب ألا يكون له تأثير كالطيب .

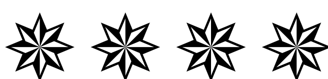
وأجيب عنه بأن الطيب ورد فيه نص وهو حديث يعلى بن أمية المتقدم ذكره، بخلاف الوطء .

الترجيح: الراجح من القولين هو القول الأول القاضي بأنه لا فرق في ذلك بين العامد وغيره لأن حالة الإحرام مذكرة بخلاف الصوم .

وأما الفرق بين الأقسام الثلاثة المذكورة في المحظورات فالقسم الأول هو استمتاع وليس إتلافاً يمكن إزالته عند التذكر أو العلم بخلاف القسم الثاني فهو إتلاف لا يمكن رده . وكذلك ورود نص في القسم الأول وهو في الطيب واللبس كما في حديث يعلى بن أمية وتغطية الرأس هو كاللبس . والله أعلم .

وأخيراً أشكر الله عز وجل أن وفقني لكتابة هذا البحث المتواضع فما كان فيه من صواب فمن الله وما كان فيه من خطأ وزلل فمن نفسي وأستغفر الله .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



---

[1] المغني (١٧٣/٥ ـ ١٧٤) .

[2] الحاوي الكبير (٢١٩/٤) المجموع (٣٠٨/٧)، المحلى (١٨٩/٧) .

[3] تقدم .



أحكام المفقودين في الشريعة الإسلامية

د. سعد الدين بن محمد الكبي ❖

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد،

فهذا بحث في بيان أحكام المفقود في زوجته وماله، حيث أن الحاجة داعية إليه بسبب ما مرت به الأمة الإسلامية من محنٍ ربما أدت إلى فقد العديد من الرجال ولا يُعلم مصيرهم، هل هم أحياء، أو في عداد الأموات والشهداء، وكذلك فيما يتعلق بالمفقودين في الكوارث كالفيضانات والزلازل وغرق السفن، ولم يُتيقن وفاتهم أو يُتأكد من بقائهم على قيد الحياة أو لا ؟ وبالتالي، ينشأ عن هذه الحالات أحكام خاصة تحتاج إليها الزوجات من جهة، لمعرفة هل يحق لهن الزواج أو لا ؟ ومن جهة ثانية، ما حكم أموال المفقود، هل تورث عنه فيعتبر ميتاً حكماً، أو ينتظر تحقق وفاته بالخبر الصادق، أو بمرور الزمن الذي لا يمكن أن يكون فيه حياً ؟

وكذلك فيما يتعلق بالذين يفقدون في الأسفار التي يغلب عليها السلامة كالتجارة، والسياحة، ورحلات طلب العلم، وما إلى ذلك.

فالحاجة داعية إلى بحث الموضوع وعرضه بأسلوب مقارن مع ذكر الأدلة والترجيح بينها، وذلك بالنظر إلى قوة الدليل وصحة الاستدلال به، سائلاً المولى سبحانه وتعالى أن ينفع به فإنه ولي ذلك والقادر عليه.

وقد قسمت البحث إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: **تعريف المفقود وأنواعه.**

الفصل الثاني: **أحكام المفقود في ماله.**

الفصل الثالث: **أحكام المفقود في زوجته.**

❖ مدير معهد الإمام البخاري للشريعة الإسلامية في عكار شمال لبنان، والمدير المسؤول عن مجلة البحث العلمي الإسلامي، له عدة مؤلفات منها: المعاملات المالية المعاصرة في ضوء الإسلام - رسالة ماجستير- والتعليقات الزهية على الدرر البهية للإمام الشوكاني، وغيرها.

الفصل الأول

تعريف المفقود وأنواعه

المبحث الأول: تعريف المفقود .

المفقود لغة: من فَقَد، يقال: فقدته فقداً، من باب ضرب، وفِقداناً عدمته فهو مفقود وفقيد، وافتقدته مثله، وتفقدته: طلبته عند غيبته[١].

والمفقود اصطلاحاً: هو الغائب الذي لم يُدرَ موضعه، ولم يُدرَ أحي هو أم ميت[٢].

وقيل: هو الذي يغيب فينقطع أثره، ولا يُعلم له خبر[٣].

ونستطيع أن نقول بعد هذا التعريف: إن المفقود في هذا البحث هو:

١. الذي غاب عن أهله غيبة منقطعة، احتراز عن الغيبة غير المنقطعة .

٢. لا يعرف مكانه ولا خبره بأن لا يأتي كتابه .

٣. لا يُعلم حاله في غيبته باعتبار السلامة أو عدمها .

المبحث الثاني: أنواع المفقودين:

لقد فصّل الفقهاء المسلمون أنواع المفقودين، ويترتب على هذا التفصيل في الأنواع، تفصيل في الأحكام، وسأستعرض أنواع المفقودين حسب تفصيل الفقهاء .

أولاً: الحنفية: الذي يبدو أن المفقود عند الحنفية أعم منه عند غيرهم، فقد قالوا: المدار في المفقود إنما هو على الجهل بحياته وموته، لا على الجهل بمكانه، فإنهم جعلوا منه: المسلم الأسير الذي أسره العدو، ولا يُدرى أحي أم ميت، مع أن مكانه معلوم، وهو دار الحرب فإنه أعم من أن يكون عُرف أنه في بلدةٍ معينة من دار الحرب أو لا[٤].

ثانياً المالكية: قسَّموا المفقود إلى أنواع:

١. مفقود في بلاد الإسلام، والمراد في غير الحرب .

٢. مفقود في بلاد الشرك، حكمه حكم الأسير[٥].

---

[١] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد الفيومي (٥٧٥/٢) .

[٢] التعريفات للجرجاني (٢٢٤) وانظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نُجيم الحنفي (١٧٦/٥) .

[٣] الخرشي على مختصر خليل (١٤٩/٤) .

[٤] البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نُجيم الحنفي (١٧٦/٥) والهداية للمرغيناني (٤٧٧/٢) .

[٥] الخرشي على مختصر خليل (١٤٩/٤ و ١٥٣) .

٣. من فُقد في القتال في الفتنة بين طائفتين من المسلمين، فإن شهدت البيّنة أنه حضر القتال فيحمل أمر هذا المفقود على الموت . وإن شهدت البيّنة أنه خرج مع الجيش بعد القتال، فيكون كالمفقود في بلاد المسلمين[١].

ثالثاً: الشافعية والحنابلة: قسّموا المفقود إلى ثلاثة أنواع:

١. الأسير .

٢ـ المفقود الذي ظاهر غيبته السلامة، كمن فُقِد في سفر التجارة في غير مهلكة، وطلب العلم، والسياحة .

٣. المفقود الذي ظاهر غيبته الهلاك، كالذي يفقد في القتال بين الصفين، أو تتحطم به السفينة، أو يُفقد في مهلكة كصحراء[٢].

الفصل الثاني

أحكام المفقود في ماله

المبحث الأول: النظر في مال المفقود

ذكر الفقهاء أنه لو كان للمفقود وكيل قبل فقده، ثم فُقِد، فينبغي أن لا ينصب القاضي وكيلاً لأنه لا ينعزل بفقد موكله إذا كان وكيلاً في الحفظ، ولا يكون الوكيل وصياً بعد موت المفقود ـ يعني إذا تحقق موته ـ[٣].

فأما إذا لم يكن له وكيل نصَّب القاضي من يحفظ ماله ويقوم عليه ويستوفي حقه، لأن القاضي نصّب ناظراً لكل عاجز عن النظر لنفسه، والمفقود بهذه الصفة صار كالصبي والمجنون[٤].

حدود تصرف الناظر في مال المفقود:

يحفظ الناظر أو الأمين الحقوق العينية وغيرها من الغلات والديون، فيقبض الغلات والديون المقر بها لأنه من باب الحفظ .

---

[١] نفس المصدر (٤/ ١٥٤) .

[٢] المجموع شرح المهذب (١٥٨/٨و١٥٩) والمغني (٢٤٧/١١و٢٤٨) والإنصاف للمرداوي (٢٨٨/٩و٢٩٤) .

[٣] البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نُجيم (١٧٨/٥) .

[٤] الهداية للمرغيناني (٤٧٧/٢) .

وهل يبيع شيئاً من ماله ؟ أما ما يخاف عليه الفساد ، يبيعه القاضي لتعذر حفظه ، ولا يبيع ما لا يخاف عليه الفساد ، لأنه لا ولاية له على الغائب إلا في حفظ ماله .

وينفق من نصَّبه القاضي على زوجة المفقود وأولاده، لأن كل من يستحق النفقة في ماله حال حضرته بغير قضاء القاضي، ينفق عليه من ماله في غيبته، وكل من لا يستحقها في حضرته إلا بالقضاء لا ينفق عليه .

ويباع في النفقة ما سوى العقار كالدراهم والدنانير أو الطعام والثياب، فأما إن كان له عروض أو عقارات، فلا ينفق منه الأمين ولا القاضي على الزوجة والأولاد، لأنه لا يمكن الإنفاق إلا بالبيع، وليس للقاضي بيع العروض والعقارات .

ولكن للأب ـ أي أب المفقود ـ أن يبيع العروض في نفقته، لأن للأب ولاية التصرف في مال الابن في الجملة، بخلاف القاضي، أما العقار فليس للأب أن يبيعه في نفقة أهل المفقود إلا بإذن القاضي[١].

حدود ما يخاصم فيه الناظر في المحاكم:

وقد ذكر الفقهاء حدود ما يخاصم فيه الناظر أو الوكيل عن المفقود في المحاكم، فقالوا:

يخاصم عنه في دَيْنٍ وجب بعقد الناظر أو الوكيل، لأنه أصيل في حقوقه، ولا يخاصم في الذي تولاه المفقود، ولا يخاصم في أرض أو عروض في يد رجل، لأنه وكيل في القبض من جهة القاضي، فلا يملك الخصومة[٢].

متى ينفذ القضاء على المفقود:

وينفذ القضاء على المفقود إذا رآه القاضي مصلحة في الحكم عليه أو له، كما يحق للقاضي أن ينصِّب من يخاصم جاحد الدَّين أو الوديعة[٣].

سماع الدعوى على المفقود:

وذكر الفقهاء أنه لا تُسمع الدعوى فيما لو ادَّعى إنسان على المفقود، لأن منصوب القاضي ـ أي من نصَّبه القاضي ـ ليس بخصم ولا ورثته أيضاً، لعدم تحقق أو ثبوت موته[٤].

---

[١] انظر: البحر الرائق (١٧٦/٥و١٧٨) والفقه الإسلامي وأدلته د. وهبة الزحيلي (٧٨٥/٥) .

[٢] البحر الرائق (١٧٨/٥) .

[٣] [٤] نفس المصدر .

المبحث الثاني: ميراث المفقود

اتفق الفقهاء على أن المفقود يعتبر حياً بالنسبة إلى أمواله الثابتة ملكيتها له، حتى تقوم البيّنة على وفاته، أو يحكم القاضي بوفاته[١].

وقد اختلف الفقهاء متى يحكم بموت المفقود:

أولاً: الحنفية: قالوا: المفقود حي في حق نفسه، فلا يورث عنه ماله ما لم يثبت موته ببيّنة، أو يبلغ سناً يندر أن يكون حياً معها. فيحكم بموته بعد مرور تسعين عاماً على عمره، لأنه الغاية في زماننا، والحياة بعدها نادر، فلا عبرة للنادر، والمشهور في المذهب أن العبرة بموت جميع أقران بلده.

وفوّض بعضهم ذلك إلى القاضي، فأي وقتٍ رأى المصلحة حكم بموته. فإذا حُكِم بموته يورث منه ماله[٢].

ثانياً: المالكية: ذهب المالكية إلى أن المفقود عموماً - أي سواء فُقد في أرض الشرك، والذي يعتبرونه كحكم الأسير، أو فُقد في بلاد الإسلام - لا يقسم ماله إلا أن يتحقق موته، أو يمضي عليه من الزمن ما لا يعيش إلى مثله. وآخر أجل يضرب له سبعون عاماً، وهو قول مالك، وقول آخر في المذهب أنه ثمانون عاماً[٣].

وإذا اختُلف في تحديد سنِّه زمن الفقد، فإنه يُعمل بالأقل لأنه أحوط لجهة المفقود[٤]، ويجوز التقدير بغلبة الظن للتعذر، ويحلف الوارث على طبق شهادة من قدّر عمر المفقود، أما لو شهدت البيّنة بتاريخ الولادة، فلا يمين[٥].

وأما من فُقد في القتال بين طائفتين من المسلمين، فإن شهدت البيّنة أنه حضر القتال، فيُحمل أمر من فُقد في ذلك القتال على الموت، أما لو شهدت البيّنة أنه خرج مع الجيش بعد القتال فتكون زوجته كالمفقود في بلاد المسلمين[٦].

ثالثاً: الشافعية: ذهب الشافعية إلى أن المفقود الذي لم يُعلم موته، لا يقسم ماله، ويُنتظر حتى يمضي زمان لا يجوز أن يعيش فيه مثله، ولم يذكروا سناً معيّنة[٧].

---

[١] الفقه الإسلامي وأدلته، د. الزحيلي (٤٢٠/٨) وانظر: البحر الرائق (١٧٦/٥و١٧٨).

[٢] البحر الرائق (١٧٨/٥).

[٣] الخرشي على مختصر خليل (١٥٣/٤).

[٤] نفس المصدر.

[٥] نفس المصدر (١٥٤/٤).

[٦] نفس المصدر.

[٧] المجموع شرح المهذب (٦٧/١٦).

رابعاً: الحنابلة: ذهب الحنابلة إلى أن ميراث المفقود ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: المفقود الغالب من حاله الهلاك، وهو من يُفقد في مهلكةٍ كالذي يُفقد بين الصفين، وقد هلك جماعة، أو في مركب انكسر فغرق بعض أهله، أو في مفازة يهلك فيها الناس، فلا يرجع، ولا يُعلم خبره، فهذا يُنتظر به أربعُ سنين، فإن لم يظهر له خبر قسِّم ماله[1].

وأما متى يُقسم ماله، فقالوا يقسم ماله في الوقت الذي تؤمر فيه زوجته بعدَّة الوفاة[2]. لأنَّ الصحابة ﷺ اتفقوا على تزويج امرأته بعد مُضي هذه المدة، وإذا ثبت ذلك في النكاح مع الاحتياط للأبضاع ففي المال أولى .

ولأنَّ الظاهر هلاكه، فأشبه ما لومضت مدة لا يعيش في مثلها[3].

والثاني: من ليس الغالب هلاكه، كالمسافر لتجارة، أو طلب علمٍ أو سياحةٍ ونحو ذلك، ولم يُعلم خبره، ففيه روايتان:

الأولى: لا يُقسّم ماله حتى يُتيقن موته، أو يمضي عليه مدة لا يعيش في مثلها، وذلك مردود إلى اجتهاد الحاكم .

والرواية الثانية: أنه يُنتظر به تمام تسعين سنةً مع سنة يوم فُقد[4].

ملخص أقوال الفقهاء في ميراث مال المفقود:

ونستطيع أن نخرج بملخصٍ لأقوال الفقهاء بعد البحث المتقدم، وهي:

أولاً: اتفقوا على أنه متى لا يُتحقق موته لا يُقسم ماله، ومتى تيقن موته قسِّم ماله في الميراث .

ثانياً: أنه يحكم بموته بعد مُضي الزمن الذي يغلب على الظن أنه لا يعيش بعده، واختلفوا في تحديد الزمن:

١. مرور تسعين عاماً على عمره وهو قول الحنفية ورواية عند الحنابلة .

٢. موت جميع أقران بلده، وهو قول عند الحنفية وهو المشهور في المذهب .

---

[1] المغني لابن قدامة المقدسي، بتحقيق د. عبد: الله التركي (١٨٦/٩) .

[2] نفس المصدر (٢٥٩/١١) .

[3] نفس المصدر (١٨٧/٩) .

[4] نفس المصدر .

٣ـ التفويض إلى القاضي وهو قول عند الحنفية .

٤ـ مرور سبعين عاماً وهو قول الإمام مالك .

٥ـ مرور ثمانين عاماً وهو قول المالكية .

٦ـ مضي الزمن الذي لا يمكن أن يعيش بعده من غير تحديد بسنوات معينة ، وهو قول الشافعية ، ورواية عند الحنابلة في المفقود الذي يغلب على فقده السلامة .

٧ـ بعد مضي أربع سنوات فيمن يغلب على فقده الهلاك وهو قول الحنابلة .

الترجيح:

والذي يترجح وتؤيده الأدلة ، والحكمة من التأجيل ، ما ذهب إليه الشافعية ، وهو مضي الزمن الذي لا ترجى فيه حياته ، وسائر تحديد الفقهاء بالأقوال الأخرى يقصد بها هذه الحكمة ، وهي مضي الزمن الذي لا ترجى فيه حياته ، فمتى ما اطمأنت النفس إلى ذلك وجب أن يحكم بموته ، وحتماً لا تطمئن النفس على وجهٍ لا يحصل فيه الخطأ ولا يدخله الشك ، إلا بمضي الزمن الذي يعلم فيه أنه لا يمكن أن يكون موجوداً . والله أعلم .

ميراث المفقود من غيره:

وهل يرث المفقود من غيره، اختلف الفقهاء في ذلك على قولين:

الأول: ما ذهب إليه الحنفية ، من أن المفقود لا يرث من غيره ، وهذا إذا لم تعلم حياته إلى أن يُحكم بموته ، وإن عُلم حياته في وقت من الأوقات يرث من مات قبل ذلك الوقت من أقاربه[1] .

الثاني: ما ذهب إليه جمهور أهل العلم من أن المفقود يرث من غيره ، لأن حياة المفقود هي الأصل الثابت ، فقبل الحكم بوفاته يوقف للمفقود نصيبه من ميراثه ، فإن بان حياً أخذه ، وإن عُلم أنه كان ميتاً حين موت مورِّثه رُدَّ الموقوف إلى ورثة الأول ، وإن مضت المدة ولم يُعلم خبره رُدَّ أيضاً إلى ورثة الأول[2] .

الترجيح:

والراجح ما ذهب إليه جمهور أهل العلم ، أنه يوقف له نصيبه إلى أن يتبين أمره ، لأننا لم نعلم موته ، والأصل استصحاب حياته حتى يثبت العكس ، والله أعلم .

---

[1] البحر الرائق شرح كنز الدقائق (١٧٨/٥) .

[2] المجموع شرح المهذب (١٦/ ٦٧) والمغني (١٨٦/٩) بتحقيق التركي ، والفقه الإسلامي وأدلته د. زحيلي (٤٢١/٨و٤٢٢) .

الفصل الثالث
أحكام المفقود في زوجته
المبحث الأول: حكم زوجة المفقود في التشريع الإسلامي

اختلف الفقهاء المسلمون في حكم زوجة المفقود، وسأذكر أقوالهم بالتفصيل من مصادرهم .

أولاً: الحنفية: قالوا: المفقود له حكمان، حكم في الحال، وحكم في المآل، أما حكمه في الحال: فهو حي في حق نفسه، فلا يورث عنه ماله، ولا تتزوج نساؤه، ولا يفرق بينه وبين زوجته، لقوله ﷺ: ((**امرأة المفقود امرأته حتى يأتيها البيان**))[1]، وتصبر حتى يتبين موت أو طلاق، والغيبة لا توجب الفرقة والموت في حيّز الاحتمال، فلا يُزال النكاح بالشك .

وأما حكمه في المآل: فيحكم بموته بعد مضي مدة معينة، قدرها الحنفية بتسعين سنة، قالوا: لأنه الغاية في زماننا، والحياة بعدها نادر، ولا عبرة للنادر، والمشهور في المذهب أن العبرة بموت جميع أقران بلده، وفوّض بعضهم ذلك إلى القاضي . وبعد مضي المدة يُحكم بموته، فتعتد امرأته عدة الوفاة، وبعد ذلك لها أن تتزوج[2].

ثانياً: المالكية: قسّم المالكية المفقود باعتبار حكم زوجته إلى أربعة أقسام، وهذه بيانها عندهم مع حكم الزوجة في كل قسم منها:

القسم الأول: زوجة المفقود في بلاد الإسلام:

ترفع زوجة المفقود في بلاد الإسلام أمرها إلى القاضي أو إلى الوالي - وهو قاضي الشرطة - فإن لم تجد فترفع أمرها إلى جماعة المسلمين، وذلك ليكشفوا عن أمر زوجها، ولها أن لا ترفع أمرها، وترضى بإقامتها في عصمته حتى يتضح أمره .

وإذا رفعت أمرها للقاضي أو لمن ذُكر، يكلفها أن تثبت الزوجية وأن زوجها غائب، وأنها باقية في عصمته إلى غيبته، ثم يتحقق الحاكم من معارف زوجها وجيرانه وأهل سوقه، ثم يرسل إلى البلد الذي يظن به أنه خرج إليه، ثم يضرب لها الأجل أربعة أعوام، والراجح عندهم أن هذه المدة تعبُّد، لفعل عمر رضي الله عنه، قالوا: وأجمعت الصحابة عليه .

---

[1] رواه الدارقطني (٣١٢/٣) وضعفه الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير، وبلوغ المرام .

[2] البحر الرائق (١٧٦/٥و١٧٨) .

ومحل التأجيل إذا كان للزوج مال ينفق منه على امرأته في الأجل، وأما إن لم يكن له مال، طُلقت عليه في الحال - إن أرادت ذلك - كالمعسر .

وكذا لو كان له مال لا يكفي في الأجل، تُطلق عليه قبل الأجل بعد فراغ ماله[١].

وتعتد زوجته بعد ذلك أربعة أشهر وعشراً، ولا نفقة لها في فترة العدة، لأنه متوفى عنها .

ولا تحتاج بعد العدة إلى إذن القاضي في التزويج، لأن إذنه حصل بضرب الأجل أولاً، وليس لها أن ترجع بعد الشروع في العدة، وأما في مدة الأجل أربع سنين، فلها أن ترجع إلى العصمة .

فإن فرغت من العدة فتزوجت، فإن رجع زوجها الأول - يعني المفقود - قبل دخول الثاني، كان الأول أحق بها، فإن دخل الثاني بانت منه، وتأخذ من المفقود جميع الصداق .

وأما التي لها شرط، كقوله: إن غبت عنك فأنت طالق، قالوا: فأخذها بالشرط أحسن[٢].

القسم الثاني: المفقود في أرض الشرك والأسير:

لا تتزوج زوجته إلا أن يصح موته أو يمضي عليه من الزمن ما لا يعيش إلى مثله، وآخر أجل يضرب له سبعون عاماً، وهو قول مالك، وقول آخر ثمانون .

القسم الثالث: من فُقد في القتال بين طائفتين من المسلمين: قالوا:

إن شهدت البيّنة أنه حضر القتال، فتعتد زوجته بعد انتهاء القتال، ويحمل أمر من فُقد في ذلك القتال على الموت . أما لو شهدت البيّنة أنه خرج مع الجيش بعد القتال فتكون زوجته كالمفقود في بلاد المسلمين[٣].

القسم الرابع: من فُقد في القتال بين المسلمين وغيرهم:

تعتد زوجته بعد سنة، بعد النظر في أمر المفقود من السلطان[٤].

ثالثاً: الشافعية: قالوا المفقود الذي ينقطع خبره ولا يُعلم مكانه ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: أن يكون ظاهر غيبته السلامة، كسفر التجارة في غير مهلكة، وطلب العلم، والسياحة، فلا تزول الزوجية ما لم يثبت موته، وهذا قول الشافعي في الجديد، وقال في القديم: تتربص أربع سنين وتعتد للوفاة أربعة أشهر وعشراً، وتحل للأزواج، لأنه إذا جاز الفسخ لتعذر الوطء بالعنّة، وتعذر النفقة بالإعسار، فلأن يجوز هاهنا لتعذر الجميع أولى .

---

[١] الخرشي على مختصر خليل (١٤٩/٤ و ١٥٠) .

[٢] نفس المصدر (١٥٠/٤) .

[٣] نفس المصدر (١٥٣/٤و١٥٤) .

[٤] نفس المصدر (١٥٥/٤) وانظر: دليل السالك إلى مذهب الإمام مالك للشيخ محمد سعد (١٠٤ ـ ١٠٥) .

والثاني: أن تكون غيبته ظاهرها الهلاك، كالذي يُفقد في القتال بين الصفين، أو تتحطم بهم باخرة فيغرق بعض رفقته، أو يُفقد في مهلكة كالصحراء، فقال الشافعي في القديم، تتربص امرأته أربع سنين أكثر مدة الحمل ثم تعتد للوفاة أربعة أشهر وعشراً وتحل للأزواج .

وقال في الجديد: تتربص حتى يتبين موته أو فراقه، لحديث: ((**امرأة المفقود امرأته حتى يأتي زوجها**))[1]. وعن علي رضي الله عنه قال: (لا تتزوج امرأة المفقود حتى يأتي موته أو طلاقه)[2].

رابعاً: الحنابلة: قالوا: إذا غاب الرجل عن امرأته، فإن كانت غيبة غير منقطعة، يُعرف خبره ويأتي كتابه، فليس لامرأته أن تتزوج في قول عامة أهل العلم، إلا أن يتعذر الإنفاق عليها من ماله، فلها أن تطلب الفسخ فيُفسخ نكاحه .

وأما إن فُقد وانقطع خبره، ولا يُعلم له موضع، فهذا ينقسم إلى قسمين:

الأول: أن يكون ظاهر غيبته السلامة، كالتجارة في غير مهلكة، وطلب العلم، والسياحة، فلا تزول الزوجية ما لم يثبت موته . هذا هو المذهب، وفي رواية عن أحمد أنه إذا مضى عليه تسعون سنة من يوم ولادته، قُسِّم ماله، وهذا يقتضي أن زوجته تعتد عدة الوفاة ثم تتزوج[3].

الثاني: أن تكون غيبته ظاهرها الهلاك، كالذي يُفقد بين الصفين، أو يغرق المركب ، أو يُفقد في مهلكة، فمذهب أحمد الظاهر عنه أنّ زوجته تتربص أربع سنين أكثر مدة الحمل ثم تعتد عدة الوفاة أربعة أشهر وعشراً وتحل للأزواج .

قال أحمد رحمه الله: يروى ذلك عن عمر رضي الله عنه من ثمانية وجوه، وكذَّب أحمد رحمه الله، رجوعَ عمر رضي الله عنه عن ذلك[4].

فإن قدم زوجها الأول - أي بعد فراغها من العدة - قبل أن تتزوج فهي امرأته، وإن قدم بعد أن تزوجت، فإن كان قبل دخول الثاني بها فهي زوجة الأول ترد إليه، وإن قدم بعد دخول الثاني، خُيِّر الأول بين أخذها فتكون امرأته بالعقد الأول، وبين أخذ صداقها من الثاني وتكون زوجة الثاني . ورجح ابن تيمية رحمه الله أنها زوجة الثاني ظاهراً وباطناً[5].

---

[1] رواه الدارقطني (٣١٢/٣) وضعفه الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير وبلوغ المرام .

[2] رواه أبو عبيد في كتاب النكاح بسند حسن، وانظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٤٣٠/٩) .

[3] المغني لابن قدامة (٢٤٨/١١) . بتحقيق د. التركي .

[4] نفس المصدر، وانظر أيضاً: الإنصاف للمرداوي (٢٨٨/٩) .

[5] الإنصاف للمرداوي (٢٩١/٩و٢٩٣) والمغني (٢٥٢/١١) .

ملخص أقوال الفقهاء:

ونستطيع أن نجمل أقوال الفقهاء بما يلي:

١. الحنفية والشافعية في الجديد:

أنها تنتظره حتى يمضي الوقت الذي يُحكم فيه بموته، ولا يمكن أن يكون حياً بعدها .

٢. المالكية: قسَّموا المفقود أربعة أقسام:

أ - مفقود في بلاد الإسلام: يضرب لها الحاكم أربعة أعوام ثم تعتد بعدها، إلا إن لم يكن للمفقود مال تنفق منه فلها الفسخ في الحال كالإعسار .

ب - مفقود في أرض الشرك: لا تتزوج امرأته حتى يمضي الزمن الذي يعيش إليه .

ج - من فُقد في القتال بين المسلمين: تعتد بعد انتهاء القتال، إلا إذا شهدت البيّنة أنه رجع مع الجيش .

د - من فُقد في القتال بين المسلمين وغيرهم: تعتد بعد سنة .

٣. الحنابلة: قسّموا المفقود إلى قسمين:

أ - الذي ظاهر غيبته السلامة، فلا تتزوج ما لم يثبت موته .

ب - من ظاهر غيبته الهلاك، تتربص أربع سنين ثم تعتد للوفاة وتحل للأزواج .

الترجيح:

والذي يبدو أن ما ذهب إليه الحنفية والشافعية في الجديد هو الراجح، لما يلي:

١. أن الأثر الذي يستدل به من قال بضرب المدة - أربع سنين - ضعيف منقطع، فقد رواه مالك في الموطأ (٥٧٥/٢) من طريق سعيد بن المسيب عن عمر به، وهو منقطع، كما رواه عبد الرزاق في المصنف برقم (١٢٣١٧و١٢٣٢٣و١٢٣٢٤) وهو منقطع أيضاً بين ابن المسيب وعمر ﷺ، والمنقطع من جملة الضعيف الذي لا يصلح دليلاً في الأحكام باتفاق الأئمة .

٢. أنه قد صح عن علي ﷺ أنه قال في امرأة المفقود:

(هي امرأة ابتليت، فلتصبر حتى يأتيها موت أو طلاق) رواه عبد الرزاق في المصنف برقم (١٢٣٣٠و١٢٣٣١و١٢٣٣٢) قال ابن حجر في الفتح (٤٣٠/٩): ورواه عنه أبو عبيد في النكاح بسند حسن

وروى عبد الرزاق في المصنف برقم (١٢٣٣٣) عن ابن جريج قال: (بلغني أن ابن مسعود وافق علياً على أنها تنتظره أبداً) وهو ضعيف باعتباره منقطعاً، فيغني عنه ما ذُكر عن علي ﷺ .

٣. أن الإمام البخاري رحمه الله استدل لما ذهب إليه علي ﷺ بحديث ضالّة الإبل، فقال ابن حجر رحمه الله تعليقاً على استدلال البخاري بحديث ضالة الإبل: وفيه: أن ضالّة الإبل لا يُتعرض لها لاستقلالها بأمر نفسها، فاقتضى أن الزوجة كذلك لا يُتعرض لها حتى يتحقق خبر وفاته .

فائدة: وأما الحديث المرفوع في هذا الباب عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: قال رسول ﷺ: ((امرأة المفقود امرأته حتى يأتيها البيان)) فقد رواه الدارقطني (٣/٣١٢) ورقم (٢٥٥) وهو ضعيف جداً لأن رجال إسناده ما بين متروك ومجهول . لذلك لم نستدل به في المسألة .

مطلب: ولكن، هل يقال: إذا كانت المرأة لا تجد نفقةً تنفق منها على نفسها بغياب زوجها وفقده، فهل لها أن ترفع أمرها إلى القاضي فيُطلّق عليها لعلة الإعسار ؟

الذي يبدو أن لها ذلك، كما هو مذهب الشافعي وأحمد في إعسار الزوج مع حضوره، فطلبها الطلاق مع إعساره في غيابه وفقده أولى .

وقد صح عن عمر ﷺ أنه كتب إلى أمراء الأجناد: (أن ادعُ فلاناً وفلاناً - ناساً قد انقطعوا من المدينة وخلوا منها - فإما أن يرجعوا إلى نسائهم، وإما أن يبعثوا إليهن بنفقة، وإما أن يطلقوا ويبعثوا بنفقة ما مضى) . رواه عبد الرزاق في المصنف برقم (١٢٣٤٦) عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما به . ورواه برقم (١٢٣٤٧) عن معمر عن أيوب عن نافع به . والله أعلم .

خاتمة

وبعد ختام هذا البحث، توصلت فيه إلى النتائج التالية:

١ـ أن المفقود هو الذي غاب عن أهله غيبة منقطعة ولا يُعرف مكانه ولا يأتي كتابه، ولا يُعلم حاله .

٢ـ أن النظر في مال المفقود لوكيله إذا كان له وكيل، فإن لم يكن له وكيل عيّن القاضي ناظراً يحفظ له ماله ويستوفي حقه، وينفق على زوجة المفقود وأولاده .

٣ـ لا يباع من مال المفقود ما كان عقاراً أو عروضاً، ويباع ما يخشى عليه التلف، كما أن للأب أن يبيع للحاجة ما سوى العقار .

٤ـ لا يخاصم الناظر عن المفقود إلا ما عقده بنفسه، ولا تسمع الدعوى عليه، ولا ينفذ القضاء على المفقود إلا ما رآه القاضي مصلحة له أو عليه .

٥ـ المفقود لا يورث عنه إلا إذا تحقق موته، أو بمضي الزمن الذي لا ترجى فيه حياته كما هو الراجح من أقوال أهل العلم .

٦ـ أنه يوقف للمفقود ميراثه من غيره إلى أن يتبين أمره .

٧ـ أن زوجة المفقود لا يحل لها أن تتزوج ما لم يتحقق وفاته أو يمضي الزمن الذي لا ترجى فيه حياته .

٨ ـ أن زوجة المفقود لها طلب الطلاق من القاضي إذا لم يكن لزوجها المفقود مال تنفق منه على نفسها، كما هو مذهب الشافعي وأحمد في إعسار الزوج، رفعاً للضرر عنها .

هذا، والله تعالى أعلم وأحكم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه .



العمل للدين

(حكمه ـ شروطه ـ أسباب التقصير فيه)

فضيلة الشيخ أحمد بن إبراهيم الحاج ❖

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد، وعلى آله و صحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

موضوع بحثنا بعنوان: **العمل للدين (حكمه ـ شروطه ـ أسباب التقصير فيه)** .

و يتضمن البحث بإذن الله تعالى عدة نقاط هي:

١ـ الأمر بالعمل للدين .

٢ـ مهمة الأنبياء و المرسلين عليهم السلام .

٣ـ مهمة العلماء و الدعاة .

٤ـ مسؤولية كل مسلم .

٥ـ شروط الدعوة و آدابها .

٦ـ أسباب الإحجام عن الدعوة .

٧ـ أمراض تصيب العاملين في الدعوة .

فنقول و بالله التوفيق:

١ـ الأمر بالعمل للدين:

لا يخفى على أحد أن الإسلام هو الدين المرتضى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] و هو الدين الذي لا يقبل الله غيره ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، و هو سبيل الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة، و قد وعد الله بحفظه وبقائه فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا

❖ خريج كلية الحديث، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥هـ، إمام وخطيب ومدرس، ومدير مركز تحفيظ القرآن الكريم في نهر البارد ـ لبنان ـ، له عدة مؤلفات مطبوعة هي: لماذا لُعن اليهود في القرآن والسنة ـ أربعون حديثاً لشيخ الإسلام ابن تيمية (تخريج وتعليق) ـ المنتقى المختار من كتاب العلو للعلي الغفار ـ إضافة إلى عدد من المؤلفات المخطوطة .

لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] فيسّر له رجالاً صادقين يحفظونه ويبلغونه، لهذا حثّ ﷻ على العمل لهذا الدين، و تبليغه والدعوة إليه، و أنزل في ذلك الآيات الكثيرة التي تأمر بالتبليغ والدعوة و البيان، منها:

١ـ **قوله تعالى:** ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧] .

قال الحافظ ابن كثير: (يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ باسم الرسالة، و آمراً له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك، وقام به أتمَّ القيام، قال البخاري عند تفسير هذه الآية: عن عائشة رضي الله عنها، قالت: من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب، الله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ الآية ..، وكذا رواه مسلم في كتاب الإيمان، والترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننهما ... عنها رضي الله عنها، وفي الصحيحين عنها أيضاً أنها قالت: لو كان محمد كاتماً شيئاً من القرآن لكتم هذه الآية: ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧])[١].

٢ـ **قوله تعالى:** ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ ﴾ [آل عمران: ١٨٧] .

قال الإمام الشوكاني: (والظاهر أن المراد بأهل الكتاب كل من آتاه الله علم شيء من الكتاب: أي كتاب كان كما يفيده التعريف الجنسي في الكتاب . قال الحسن وقتادة: إن الآية عامة لكل عالم، وكذا قال محمد بن كعب، ويدل على ذلك قول أبي هريرة: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء، ثم تلا هذه الآية)[٢].

٣ـ **قوله تعالى :** ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤] .

قال الإمام القرطبي: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ يعني القرآن . ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ في هذا الكتاب من الأحكام والوعد والوعيد بقولك وفعلك، فالرسول ﷺ مبيِّن عن الله عز وجل مراده ممَّا أجمله في كتابه من أحكام الصلاة والزكاة، وغير ذلك ممَّا لم يفصله)[٣].

---

[١] تفسير ابن كثير (٨٠/٢) .

[٢] فتح القدير (٦١٤/١) .

[٣] تفسير القرطبي (٧٢/١٠) .

٤ـ **قوله تعالى:** ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [الشورى: ١٥] .

قال الحافظ ابن كثير: (قوله ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ ﴾ أي فللذي أوحينا إليك من الدين الذي وصينا به جميع المرسلين قبلك، أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولي العزم وغيرهم فادعُ الناس إليه)[١].

٥ـ **قوله تعالى:** ﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٦٧] .

قال الإمام القرطبي: ﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ ﴾ أي إلى توحيده ودينه والإيمان به . ﴿ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى ﴾ أي دين . ﴿ مُسْتَقِيمٍ ﴾ أي قويم لا اعوجاج فيه[٢].

٦ـ **قوله تعالى:** ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴾ [الرعد: ٣٦] .

قال الإمام القرطبي: ﴿ إِلَيْهِ أَدْعُواْ ﴾ أي إلى عبادته أدعو الناس . ﴿ وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴾ أي أرجع في أموري كلها[٣].

٧ـ **قوله تعالى:** ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

قال الحافظ ابن كثير: (يقول عزّ وجل: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾ أي دعا عباد الله إليه ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ أي هو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى، وهذه عامة في كل من دعا إلى الخير وهو في نفسه مهتد، و رسول الله ﷺ أولى الناس بذلك كما قال محمد بن سيرين والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم)[٤].

٢ـ مهمة الأنبياء و المرسلين عليهم السلام:

أرسل الله ﷻ الرسل مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، فقام الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام بالمهمة على الوجه المطلوب، دعوا الناس إلى توحيد الله و إفراده بالعبادة، و اتبعوا في ذلك كل الوسائل المتاحة في الدعوة، وصبروا على ما كُذبوا وأوذوا، و اتهموا وعُذبوا حتى قُتل فريق منهم .

---

[١] تفسير ابن كثير (٤/١١٨) .

[٢] تفسير القرطبي (١٢/٦٢) .

[٣] تفسير القرطبي (٩/٢١٤) .

[٤] تفسير ابن كثير (٤/١٠٨) .

فنوح عليه السلام أول الرسل إلى أهل الأرض، مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، دعاهم فيها ليلاً و نهاراً، سراً وجهاراً، لم يترك وقتاً إلا و دعا فيه إلى عبادة الله، لكنهم كذبوه فأهلكهم الله بالطوفان لأنهم كفروا برسالته في الدنيا، ثم يوم القيامة يقولون ما جاءنا من نبي، فعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**يجيء نوح وأمته، فيقول الله: هل بلّغت ؟ فيقول: نعم أي رب . فيقول لأمته: هل بلّغكم ؟ فيقولون: لا، ما جاء لنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك ؟ فيقول: محمد وأمته، فنشهد أنه قد بلغ، و هو قوله تعالى:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٤٣] والوسط: العدل))[١].

وإبراهيم وصالح وهود وشعيب ويونس ولوط وموسى وعيسى عليهم السلام كلّهم أدّى هذه الأمانة، و قام بالمهمة على النحو الذي يُرضي الله تعالى .

وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان شديد الحرص على دعوة الناس و هدايتهم، أرسله الله ﴿ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ❖ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦] فقد بيّن ودعا وبلّغ، لم يتوانَ أو يقصّر، و كان يُشهد الناس على ذلك فيقول: ((**ألا هل بلّغت ؟**)) كما في الصحيحين وغيرهما [٢]، و في صحيح مسلم : ((**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، و أنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا: نشهد أنك قد بلّغت وأدّيت ونصحت . فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات**))[٣] و عند أحمد في المسند: ((**ألا إن ربي داعيّ و إنه سائلي: هل بلّغت عبادي ؟ و أنا قائل له: رب قد بلّغتهم، ألا فليبلّغ الشاهد الغائب**))[٤].

قال الحافظ ابن كثير: (وقال البخاري: قال الزهري: من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم، وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة،

---

[١] رواه البخاري كتاب الأنبياء باب قوله تعالى : ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه (٤٢٧/٦) الفتح .

[٢] رواه البخاري كتاب العلم باب ليبلغ الشاهد الغائب (٢٣٨/١) الفتح ، و مسلم كتاب الكسوف باب صلاة الكسوف (٦١٨/٢) .

[٣] رواه مسلم كتاب الحج باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم (٨٩٠/٢) .

[٤] رواه أحمد في المسند (٤/٥) .

واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع، وقد كان هناك من أصحابه نحو من أربعين ألفاً، كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله)[١].

مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن بعدهم قام أصحابهم بالعمل للدّين والدّعوة، وضحّوا بكل شيء في سبيل الله:

ففي قصة أصحاب القرية ـ التي جاء ذكرها في سورة يس ـ أرسل الله إليهم ثلاثة من المرسلين، لكنهم ﴿ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلا تَكْذِبُونَ ❖ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ❖ وَمَا عَلَيْنَا إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ❖ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يس: ١٥ـ ١٨] فقام رجل ـ هو حبيب بن مري، وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل هو حبيب بن إسرائيل النجار [٢] ـ فآمن بالرسل و اتبعهم و سعى لدعوة قومه فقال: ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ❖ اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [يس: ٢٠.٢١] لكنهم قاموا إليه فقتلوه، فأدخله الله الجنة، فلما رأى الثواب والنعيم ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ❖ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس: ٢٦.٢٧] . قال ابن عباس: (نصح قومه حياً و ميتاً)[٣] .

قال الحافظ ابن كثير: (قال قتادة: لا تلقى المؤمن إلا ناصحاً لا تلقاه غاشاً . لما عاين ما عاين من كرامة الله تعالى: ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ❖ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ تمنى على الله أن يعلم قومه بما عاين من كرامة الله وما هجم عليه . وقال ابن عباس: نصح قومه في حياته بقوله: ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ وبعد مماته في قوله ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ❖ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ رواه ابن أبي حاتم . وقال سفيان الثوري عن عاصم الأحول عن أبي مجلز ﴿ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ بإيماني بربي وتصديقي المرسلين، ومقصوده أنهم لو اطلعوا على ما حصل لي من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل فرحمه الله ورضي عنه، فلقد كان حريصاً على هداية قومه . قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام ابن عبيد الله، حدثنا ابن جابر هو محمد عن عبد الملك يعني ابن عمير قال: قال عروة بن

---

[١] تفسير ابن كثير (٨٠/٢) .

[٢] تفسير القرطبي (١٤/١٥) و ابن كثير (٥٧٥/٣) .

[٣] تفسير القرطبي (١٥/١٥) .

مسعود الثقفي ﷺ للنبي ﷺ: ابعثني إلى قومي أدعوهم إلى الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: إني أخاف أن يقتلوك فقال: لو وجدوني نائماً ما أيقظوني، فقال له رسول الله ﷺ: انطلق فانطلق، فمر على اللات والعزى، فقال: لأصبحنك غداً بما يسوؤك، فغضبت ثقيف، فقال: يا معشر ثقيف إن اللات لا لات وإن العزى لا عزى، أسلموا تسلموا، يا معشر الأحلاف إن العزى لا عزى وإن اللات لا لات، أسلموا تسلموا، قال ذلك ثلاث مرات، فرماه رجل فأصاب أكحله فقتله، فبلغ رسول الله ﷺ فقال: هذا مثله كمثل صاحب يس ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ❖ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾[1].

و قصة الرجل المؤمن من آل فرعون - ذكر بعض المفسرين أن اسمه حبيب و قيل شمعان[2] - كان مؤمناً يكتم إيمانه على خوف من فرعون وجنوده، فلما قال فرعون: ذروني أقتل موسى و ليدع ربه، قام هذا الرجل، و صدع بالحق، و دافع عن موسى ﷺ فقال: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [غافر: ٢٨] ثم وعظهم ونصحهم وخوّفهم أن يحلّ بهم ما حلّ بقوم نوح وعاد وثمود، و حذّرهم يوم التناد، ودعاهم إلى الإيمان والنجاة، فدعوه إلى الكفر و النار، إلى أن قال: ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٤] فماذا كانت النتيجة ؟ ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥] فنجّاه الله منهم .

قال الحافظ ابن كثير: (يقول لهم المؤمن ما بالي أدعوكم إلى النجاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسوله ﷺ الذي بعثه ﴿ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ❖ تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾ [غافر: ٤١ -٤٢] أي على جهل بلا دليل ... وقوله تبارك وتعالى: ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ﴾ أي في الدنيا والآخرة، وأما في الدنيا فنجاه الله تعالى مع موسى عليه الصلاة والسلام وأما في الآخرة فبالجنة ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذَابِ ﴾ وهو الغرق في اليم ثم النقلة منه إلى الجحيم، فإن أرواحهم تعرض على النار صباحاً ومساء إلى قيام الساعة فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار ولهذا قال: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ ﴾ أي أشده ألماً وأعظمه نكالاً)[3].

---

[1] تفسير ابن كثير (٣/٥٧٦) .

[2] تفسير القرطبي (١٥/٢٠٠) .

[3] تفسير ابن كثير (٤/٨٧- ٨٨) .

و من صحابة النبي ﷺ كان الصدّيق أبو بكر ﷺ سباقاً للإسلام والدعوة، فما أن نطق بالشهادتين حتى قام بالدعوة وأسلم على يديه نفر من الأوائل منهم خمسة من العشرة المبشّرين بالجنّة [١] هم عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم[٢]، ومواقفه أكثر من أن تحصى في العمل للإسلام والدعوة إليه والدفاع عن النبي ﷺ والمستضعفين، روى البخاري عن عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ . قال: بينا رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه و دفع عن رسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟[٣].

حمل الصحابة الكرام ﷺ هذا الدين و مسؤولية الدعوة وعملوا جاهدين من أجله: فهذا مصعب بن عمير أرسله النبي ﷺ إلى المدينة داعياً ومعلماً [٤]، فكان ممّن أسلم على يديه سعد بن معاذ سيد الأوس فدعا سعد قومه فآمنوا جميعاً [٥]. و هذا معاذ بن جبل أرسله إلى اليمن فأسلم أهلها [٦]، و هذا أبو ذر أرسله إلى غفار فآمنوا [٧]، و هذا خبيب ابن عدي و عاصم بن ثابت و زيد بن الدثنة يخرجون في نفر للدعوة فتلقاهم هذيل و تقتل من تقتل في يوم الرجيع، و تُسْلِم خبيباً و زيداً لقريش حتى قُتلا [٨]... و الأمثلة كثيرة كثيرة .

٣. مهمة العلماء والدعاة:

مسؤولية العلماء عظيمة جداً، فهم ورثة الأنبياء، عن أبي الدرداء ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن**

---

[١] أسد الغابة في معرفة الصحابة (٢٠٦/٣) .

[٢] الإصابة في تمييز الصحابة (١٠٢/٢) .

[٣] رواه البخاري كتاب مناقب الأنصار باب ما لقي النبي ﷺ و أصحابه من المشركين بمكة (٢٠٣/٧) الفتح .

[٤] البداية و النهاية (١٤٩/٣) .

[٥] البداية و النهاية (١٥٢/٣) .

[٦] البداية و النهاية (٩٩/٥) .

[٧] البداية و النهاية (٣٦/٣) .

[٨] البداية و النهاية (٦٢/٤) .

الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر))[1] ، فلا يجوز لهم أن يكتموا ما أنزل الله من البينات والهدى بل عليهم أن يقوموا بالبيان والإرشاد والدعوة والتعليم، فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: (انظر إلى ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ، و لتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يُعلَّم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً) [2] . و العلماء سيسألون عن هذا العلم ففي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيمَ أفناه؟ و عن شبابه فيمَ أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه ؟ وماذا عمل فيما علم ؟**))[3] .

فهل يقوم العلماء والدعاة بواجبهم كما ينبغي من مناصحة الخلق وإرشادهم وقول كلمة الحق و الغيرة على الدين و إحياء السنن و إماتة البدع ؟! لو نظرنا نظرة دقيقة لوجدنا الناس في هذا الأمر على ثلاثة أقسام:

❖ قسم اتبعوا الهوى فضلّوا و أضلّوا فكانوا دعاة شر وفتنة .

❖ قسم انشغل بالدنيا فكانت أكبر همه ومبلغ علمه، وصار نفعه قاصراً غير متعدٍ، وإن وجد فيه بعض النفع لإفتاء سائل أو إلقاء حديث في مناسبة فإنه نزر قليل .

❖ قسم يقوم بواجب الدعوة والإرشاد والنفع على أكمل وجه، يثابر عليه ويصبر ويصابر، لا ينثني ولا يضعف .

و قد ضرب النبي ﷺ مثلاً لحال الناس مع العلم والعمل والدعوة، عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب**

---

[1] رواه الترمذي كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٤٨/٥- ٤٩) ، و أبو داود كتاب العلم باب في فضل العلم (٥٢/١٠- ٥٣) عون المعبود .

[2] رواه البخاري كتاب العلم باب كيف يقبض العلم (٢٣٤/١) الفتح .

[3] رواه الترمذي كتاب صفة القيامة باب ما جاء في شأن الحساب و القصاص (٦١٢/٤) .

أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلِم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به))[١].

قال الحافظ ابن حجر: (قال القرطبي وغيره: ضرب النبي ﷺ لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العام الذي يأتي في حال حاجتهم إليه، وكذا كان الناس قبل مبعثه، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت. ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلم. فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها. ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما جمع لكنه أداه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به، وهو المشار إليه بقوله: ((**نضر الله امرءاً سمع مقالتي فأداها كما سمعها**)). ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها. وإنما جمع المثل بين الطائفتين الأوليين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها)[٢].

قال أبو مسلم الخولاني: (العلماء ثلاثة: رجل عاش بعلمه وعاش به الناس معه، ورجل عاش بعلمه ولم يعش به أحد غيره، ورجل عاش الناس بعلمه وأهلك نفسه) [٣].

لقد قام علماء الإسلام المخلصون بالمهمة على وجهها الصحيح، فأخلصوا في تعلّم العلم، و تجرّدوا في تعليمه وتبليغه، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً منها:

١ـ إمام الورع والزهد، إمام الفقه والحديث والعقيدة، إمام الدعاة، إمام الثبات والصبر على البلاء في سبيل إنقاذ السنة وصونها والدفاع عنها، الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، الذي ابتلي بمحنة خلق القرآن، لما أراد المأمون حمل العلماء على القول بخلق القرآن من خلال السجن والجلد والتنكيل، لكن الإمام أحمد ـ و معه القليل غيره ـ ثبت وصبر، فثبّت الله به عقيدة الناس، وعلت كلمة الله، قال المزني: (أحمد بن حنبل يوم

---

[١] رواه البخاري كتاب العلم باب فضل من علِم و علّم (٢١١/١) الفتح.

[٢] فتح الباري (٢١٢/١).

[٣] مصنف ابن أبي شيبة (٣١٩/٨).

المحنة، وأبو بكر يوم الردة، وعمر يوم السقيفة، وعثمان يوم الدار، وعلي يوم الجمل وصفين)[١].

٢. شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، الذي نبغ في العلم ولم يتجاوز العشرين من عمره كم ضحى وكم جاهد بالنفس والمال والقلم واللسان، كم سجن وأوذي ونيل منه بسبب دعوته حتى مات داخل سجنه رحمه الله .

٣. و في عصرنا مثال فريد من نوعه، سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله و جعل الجنة مثوانا و مثواه، قضى حياته في العلم والعمل والدعوة، توفي أبوه ثم أمه وفقد بصره في مقتبل عمره، لكنه صبر، فعوضه الله بالبصيرة في الدنيا، ونسأل الله أن يعوضه بهما الجنة يوم القيامة . سار في مسيرة العلم حتى وصل إلى مراتب العلماء العاملين فكان مدرّساً وقاضياً ومفتياً، وشغل الكثير من المناصب الرسمية التي لم يكن يطلب من خلالها إلا الحق والعلم والخير، ما من مؤسسة دعوية إلا وجهوده فيها عظيمة، كان لا ينام إلا ساعات معدودة، يدرّس و يفتي، يصنّف ويكتب، كان يحمل همّ الإسلام والمسلمين، كلّ قضية من قضايا المسلمين هي همّه و قضيته، يسعى بكل ما أوتي من قوة و إمكانية لحل القضايا، يجلس الساعات الطوالَ، لا يملّ ولا يكلّ رغم كبر سنه، و ثقل مرضه رحمه الله .

قد يقول قائل: إن من نتحدث عنهم أئمة، فأين نحن منهم ؟ فنقول كما قال الشاعر:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالكرام فلاح

و قد يقول قائل: كانوا، فنقول: لم لا نكون مثلهم ؟!

كانوا مضى ما كانوا هل نشابههم ... حتى نعيد المجد كما بماضينا
فهل نحكم قرآناً كما فعلوا ... ونقيم سنة مبعوث لبارينا
فهل نعود إلى ما هم به وصلوا ... حتى نكون كما كانوا سلاطينا

٤. مسؤولية كل المسلمين:

مسؤولية كل مسلم[٢] عظيمة، وواجبه تجاه الدعوة كبير، والمهمة ليست مقتصرة على الأنبياء والعلماء والدعاة، بل كل مسلم مكلّف بالدعوة، مأمور بالعمل للدين، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

---

[١] البداية والنهاية (٣٣٥/١٠) .

[٢] و نقصد بهذا من كان عنده القدرة على القيام بأمور الدعوة ، فكان عنده من العلم بالحلال والحرام، والتمييز بين الخير و الشر و الحق و الباطل و لو لم يكن كامل الأهلية، فيدعو إلى ما يعلم، =

١ـ قوله ﷻ: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُواْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

قال الحافظ ابن كثير: (يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين الإنس والجن، آمراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي)[١].

فهذه الآية نص على ضرورة الدعوة إلى الله من كل مسلم متبع للرسول ﷺ، فنقول للمسلمين عموماً و لمن يلتزم نهج الكتاب والسنة خصوصاً: هل أنتم من الأتباع أم لا ؟ فالجواب: نعم . فنقول: إن كنتم من الأتباع وجب عليكم أن تبرهنوا عن صحة اتباعكم بالدعوة إلى الله . قال الإمام الشوكاني: ﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ أي ويدعو إليها من اتبعني واهتدى بهديي . قال الفراء: والمعنى ومن اتبعني يدعو إلى الله كما أدعو . وفي هذا دليل على أن كل متبع لرسول الله ﷺ حقّ عليه أن يقتدي به في الدعاء إلى الإيمان به وتوحيده والعمل بما شرعه لعباده)[٢].

٢ـ قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧] .

قال الإمام القرطبي: (هذا تأديب للنبي ﷺ، و تأنيب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئاً من شريعته)[٣].

٣ـ قوله ﷺ: ((**بلّغوا عني و لو آية**))[٤]. قال الحافظ ابن حجر : (وقال في الحديث ((**ولو آية**)) أي واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قلّ ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ)[٥] . فمَن منا لا يحفظ آية أو يعرف حديثاً أو يعلم مسألة ؟ فالكل مطالب بالعلم أولاً ((**طلب العلم فريضة على كل مسلم**))[٦] ثم مأمور بالبيان والتبليغ والدعوة .

= أما الجاهل و من لا دراية له فليس معنياً بهذا الأمر لأنه قد يدعو إلى ضلال، أو ينهى عن معروف، أو يُفتي بغير علم .

[١] تفسير ابن كثير (٥١٣/٢ ـ ٥١٤) .

[٢] فتح القدير (٨٤/٣) .

[٣] تفسير القرطبي (١٥٧/٦) .

[٤] رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني اسرائيل (٥٧٢/٦) الفتح .

[٥] فتح الباري (٥٧٥/٦) .

[٦] رواه ابن ماجه في المقدمة باب فضل العلماء (٨١/١) ، و الطبراني (١٩٥/١٠) .

٤ـ قوله ﷺ: ((**نضّر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، و رب حامل فقه ليس بفقيه**))[١].

٥ـ قوله ﷺ: ((**ليبلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه**))[٢] قال الحافظ ابن حجر: (قوله: (ليبلغ الشاهد) أي الحاضر في المجلس (الغائب) أي الغائب عنه، والمراد إما تبليغ القول المذكور أو تبليغ جميع الأحكام ... وفي هذا الحديث من الفوائد ... الحث على تبليغ العلم، وجواز التحمل قبل كمال الأهلية)[٣].

٦ـ قوله ﷺ: ((**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه و ذلك أضعف الإيمان**))[٤].

قال الإمام النووي: (وأما قوله ﷺ: (فليغيره) فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة . وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين . ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة، ولا يعتد بخلافهم كما قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين: لا يكترث بخلافهم في هذا، فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء . ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافاً للمعتزلة ... قال العلماء: ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات بل ذلك جائز لآحاد المسلمين . قال إمام الحرمين: والدليل عليه إجماع المسلمين؛ فإن غير الولاة في الصدر الأول، والعصر الذي يليه كانوا يأمرون الولاة بالمعروف، وينهونهم عن المنكر، مع تقرير المسلمين إياهم)[٥].

هذه بعض الأدلة التي تؤكد ضرورة العمل للدين من كل مسلم، انظروا إلى أهل الفتنة والضلال، كيف يعملون بجد ونشاط، بلا كلل ولا ملل، ساعات طوال من أجل ضلالهم وباطلهم، فماذا قدمت من أجل حقّك ؟!

---

[١] رواه الترمذي كتاب العلم باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (٣٤/٥) ، و أبو داود كتاب العلم باب فضل نشر العلم (٦٨/١٠) عون المعبود .

[٢] رواه البخاري كتاب العلم باب قول النبي ﷺ : رب مبلغ أوعى من سامع (١٩٠/١) الفتح ، و مسلم كتاب القسامة و المحاربين باب تغليظ تحريم الدماء (١٣٠٦/٣) .

[٣] فتح الباري (١٩٢/١) .

[٤] رواه مسلم كتاب الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان (٦٩/١) .

[٥] صحيح مسلم بشرح النووي (٢٢/٢ـ٢٣) .

هل خصصت لنفسك وقتاً ـ و لو بسيطاً ـ لتقرأ وتتعلم ثم لتدعو وتعمل ؟

هل حرصت على مجالسة أهل العلم والفضل لتستفيد منهم وتسير على نهجهم ؟

هل عملت على توزيع نشرة أو كتاب أو شريط نافع أو ساهمت فيه ؟

هل عملت على دعوة رجل إلى الخير والصلاح ؟

هل أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر ؟ هل وهل وهل ؟؟ أسئلة كثيرة .

إنها أمانة ومسؤولية ، والكل مسؤول عنها ، ففي الحديث: ((**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**))[1]. فهل يتحمل كل مسلم هذه المسؤولية أم يحجم عنها ؟!

٥ـ شروط الدعوة و آدابها :

نوجز هنا بعض الأحكام المتعلّقة بالدعوة و آدابها و شروطها :

١ـ العلم بالكتاب والسّنة: قال تعالى: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُواْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨] . قال الإمام الشوكاني: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي ﴾ أي قل يا محمد للمشركين هذه الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها سبيلي: أي طريقي وسنتي ... وفسر ذلك بقوله: ﴿ أَدْعُواْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا ﴾ أي على حجة واضحة، والبصيرة المعرفة التي يتميز بها الحق من الباطل) [2] .

٢ـ عدم الفتوى بغير علم: عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقِ عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**))[3]. و عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من أفتي بغير علم كان إثمه على من أفتاه**))[4].

---

[1] رواه البخاري كتاب الجمعة باب الجمعة في القرى و المدن (٤٤١/٢) الفتح ، و مسلم كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل (١٤٥٩/٣) .

[2] فتح القدير (٨٤/٣) .

[3] رواه البخاري كتاب العلم باب كيف يقبض العلم (٢٣٤/١) و مسلم كتاب العلم باب رفع العلم (٢٠٥٨/٤) .

[4] رواه أبو داود كتاب العلم باب التوقي في الفتيا (٦٥/١٠) عون المعبود .

٣- **الإيمان بما يدعو إليه والعمل بمقتضاه:** قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ❖ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢- ٣]. و عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه**))[1].

٤- **الصبر على ما يلقاه من أذى أو إعراض:** ﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧]. فبالصبر يصل الإنسان إلى مبتغاه، وينال حاجته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في حديثه عن الإمام أحمد ابن حنبل: (أظهر السنة وبيّنها، وذبّ عنها، وبين حال مخالفيها، وجاهد عليها وصبر على الأذى فيها لما أظهرت الأهواء والبدع، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]. فالصبر واليقين بهما تنال الإمامة في الدين، فلما قام بذلك قرنت باسمه من الإمامة في السنة ما شهر به وصار متبوعاً لمن بعده كما كان تابعاً لمن قبله)[2].

٥- **الدعوة بالحكمة:** قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. قال الحافظ ابن كثير: (يقول تعالى آمراً رسوله محمداً ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة. قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة: ﴿ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ أي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس، ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى، وقوله: ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، كقوله تعالى: ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ الآية، فأمره تعالى بلين الجانب كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون في قوله: ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾)[3].

---

[1] رواه البخاري كتاب بدء الخلق باب صفة النار (٣٨١/٦) الفتح ، و مسلم كتاب الزهد و الرقائق باب عقوبة من يأمر بالمعروف و لا يفعله (٢٢٩١/٤) .

[2] مجموع الفتاوى (٣٥٨/٣) .

[3] تفسير ابن كثير (٦١٣/٢) .

٦ـ **الرفق و اللين في الدعوة:** قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ❖ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه: ٤٣ ـ ٤٤] . و عن أنس ابن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((**يسّروا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا**))[١]. و عن أنس ابن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق**))[٢]. وعن عائشة رضي الله عنها أن يهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليكم . فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم . قال: مهلا يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش . قالت: أولم تسمع ما قالوا ؟ قال: أوَ لم تسمعي ما قلت ؟ رددت عليهم فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيّ [٣].

٧ـ **عدم كتمان العلم:** قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ ❖ إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٥٩ـ١٦٠] . قال الحافظ ابن كثير: (هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاء به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة، والهدى النافع للقلوب من بعد ما بينه الله تعالى لعباده من كتبه التي أنزلها على رسله، قال أبو العالية: نزلت في أهل الكتاب، كتموا صفة محمد ﷺ، ثم أخبر أنهم يلعنهم كل شيء على صنيعهم ذلك، فكما أن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في الماء، والطير في الهواء، فهؤلاء بخلاف العلماء، فيلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)[٤]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة**))[٥].

٦ـ أسباب الإحجام عن الدعوة :

يتذرع البعض بذرائع واهية ليحجم عن الدعوة و العمل للدين منها:

---

[١] رواه البخاري كتاب العلم باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة (١٩٦/١) الفتح ، و مسلم كتاب الجهاد و السير باب في الأمر بالتيسير و ترك التنفير (١٣٥٨/٣) .

[٢] رواه أحمد (١٩٩/٣) .

[٣] رواه البخاري كتاب الأدب باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً و لا متفحشاً (٤٦٧/١٠) الفتح .

[٤] تفسير ابن كثير (٢٠٦/١) .

[٥] رواه أبو داود كتاب العلم باب كراهية منع العلم (٦٦/١٠) عون المعبود .

١ـ **عدم تحمّل المسؤولية:** حيث يظن أن مسؤولية الدعوة و العمل للدين هي مسؤولية العلماء و القضاة والمفتين وأصحاب التكاليف الرسمية وحدهم . وهذا من الأخطاء الجسيمة أن يظن الإنسان نفسه معفياً من هذه المهمة ، و قد سبق التأكيد على مسؤولية كل مسلم تجاه هذا الأمر .

٢ـ **الخوف من مواجهة الناس:** يقول أحدهم: أنا أستحي من الناس، أخجل من الكلام أمامهم، أنا لا أعرف الكلام، لساني يتلعثم، إذا تكلمت بكلمة احمرّ وجهي و تصبب عرقي، و غير ذلك من الوساوس التي يوسوس بها الشيطان للإنسان ليصرفه عن الدعوة .

نقول: واجه هذا الأمر بالجرأة والشجاعة والثبات، فإنك بإذن الله ستتخطى هذه المرحلة و بوقت قريب، فما منا أحد إلا و مرّ بهذه التجربة . ثم واجه هذا الأمر بالدعاء وقل: ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ❖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ❖ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ❖ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ [طه: ٢٥ـ ٢٨] فبهذا دعا موسى عليه الصلاة والسلام لما خشي من مواجهة فرعون .

٣ـ **التذرع بعدم العلم:** يقول أحدهم: أنا لا أملك العلم الكافي حتى أتحمل المسؤولية، ويقول بعضهم: لا أبدأ الدعوة إلا بعد التخرج وأخذ الشهادة . نقول: إذا انتظرت حتى تصل إلى العلم الكافي فهذا يعني أنك لن تعمل للدين والدعوة أبداً، لأنك لن تصل إلى العلم الكافي: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلا قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥] . ثم إن النبي ﷺ حمّل المسؤولية لكل من حفظ آية بوجوب تبليغها . ثم هل حمل الصحابة والأئمة الشهادات ؟ لقد كانوا يحملون أعظم شهادة قامت عليها السماوات والأرض: (شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله) فعملوا بها ودعوا الناس إليها، وأنت تحمل نفس الشهادة، فحملك لها يجعلك مكلفاً بالعمل بها والدعوة إليها .

٤ـ **التذرع بضيق الوقت وكثرة الواجبات:** يقول بعضهم: الأوقات قليلة والواجبات والأعمال كثيرة، فيؤدي بهم هذا إلى ترك العمل أو التقصير فيه . نقول: إن العمر يمضي بسرعة فاغتنمه قبل ذهابه: ((**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، و صحتك قبل سقمك، و غناك قبل فقرك، و فراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**))[1] . الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، وما أكثر الأوقات التي تضيع في السهر واللهو والعبث.

---

[1] رواه الحاكم كتاب الرقاق (٣٤١/٤) .

قال علي بن الحسن بن شقيق: قمت مع ابن المبارك ليلة باردة ليخرج من المسجد بعد العشاء، فذاكرني عند الباب بحديث وذاكرته، فما زال يذاكرني حتى جاء المؤذن فأذن للفجر [(١)]. و قال يحيى بن هبيرة:

والوقتُ أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع

و قال الإمام أحمد بن فارس الرازي اللغوي :

إذا يؤذيك حرُّ المصيـــفِ و يبسُ الخريف و بردُ الشتا

ويلهيك حسنُ زمان الربيع فأخذك للعلم قل لي متى ؟

٥- **الانشغال بالدنيا**: يقول بعضهم: الظروف صعبة، والمعيشة قاسية، والمسؤولية كبيرة، نحن بحاجة لتأمين متطلبات الحياة ومصاريفها . نقول: واجه هذا الأمر باليقين والتوكل على اللّه فإن اللّه لن يضيعك، رزقك مقسوم فلا تخش الفقر ففي الحديث: ((**واللّه ما الفقر أخشى عليكم، و لكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم**))[(٢)]. ثم تذكر الآخرة تنسيك همَّ الدنيا: ﴿ وَمَا هَـٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤] . ثم ما المانع أن تزيد المسؤوليات مسؤولية أخرى فتجعل للدين نصيباً كما جعلت للأهل والمعيشة ومتطلّبات الحياة نصيباً من المسؤولية ؟

٦- **التضييق أو الخوف أو التهديد**: يقول بعضهم أخاف على نفسي إن عملت في الدعوة، فقد أسجن أو أقتل ... ﴿ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ [القصص: ٥٧] . نقول: إن سنة اللّه في خلقه أن يبتلي عباده المؤمنين فكم عذب الأنبياء، وكم أوذي النبي ﷺ وأصحابه: ((**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثلُ فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صُلباً اشتد بلاؤه، و إن كان في دينه رقةٌ ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة**))[(٣)]. إن مواجهة هذه الذريعة إنما تكون بالصبر والتوكل على اللّه، قال تعالى:

---

(١) تذكرة الحفاظ (٢٧٧/١) .

(٢) رواه البخاري كتاب المغازي باب شهود الملائكة بدراً (٣٧١/٧) الفتح ، و مسلم كتاب الزهد والرقائق (٢٢٧٤/٤) .

(٣) رواه ابن ماجه كتاب الفتن باب الصبر على البلاء (١٣٣٤/٢) .

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف:٣٥] . وقال: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤] . وقال: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩] . وقال: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ٥١] .

٧ـ **قلة المستجيبين:** يقول قائل: ندعو و ندعو و لكن الناس لا يستجيبون، فلماذا ندعو ؟؟؟

نقول: إن على سالك طريق الدعوة أن يعلم أن هذا الطريق سالكوه قليل، وأن العبرة ليست بالكثرة، و لقد دلت على ذلك جملة من الآيات منها:

قوله تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣] . قال الإمام الشوكاني: (بين بعد أمرهم بالشكر أن الشاكرين له من عباده ليسوا بالكثير فقال: **وقليل من عبادي الشكور** أي العامل بطاعتي الشاكر لنعمتي قليل) [(١)].

و قوله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠] . قال ابن عباس رضي الله عنهما: (آمن من قومه ثمانون إنساناً، منهم ثلاثة من بنيه، سام و حام ويافث، وثلاث كنائن له) [(٢)] .

قال عمر: وما الأقلون ؟ قال سمعت الله يقول: ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ ﴾ و ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ .. فقال عمر: كل أحد أفقه من عمر[(٣)].

و قوله تعالى: ﴿ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴾ [ص: ٢٤] . قال الإمام القرطبي: (﴿ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴾ يعني الصالحين ... وسمع عمر رضي الله عنه رجلاً يقول في دعائه: اللهم اجعلني من عبادك القليل . فقال له عمر: ما هذا الدعاء ؟ فقال أردت قول الله عز وجل: ﴿ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴾ فقال عمر: كل الناس أفقه منك يا عمر ! [(٤)] .

و قوله: ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦] . قال الحافظ ابن كثير: (يخبر تعالى عن حال أكثر أهل الأرض من بني آدم أنه الضلال،

---

(١) فتح القدير (٤/٤٥٠) .

(٢) تفسير القرطبي (٩/٢٥) .

(٣) الزهد للإمام أحمد (١١٤) .

(٤) تفسير القرطبي (١٥/١١٨) .

كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ ﴾ [الصافات: ٧١] وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣] . وهم في ضلالهم ليسوا على يقين من أمرهم، وإنما هم في ظنون كاذبة وحسبان باطل)[١].

كما دلّت على ذلك جملة من الأحاديث منها:

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((**عُرضت عليَّ الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد**))[٢] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال النبي ﷺ: ((**أنا أول شفيع في الجنة، لم يصدق نبي من الأنبياء ما صُدّقت، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد**))[٣] .

وعن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال: ((**لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**))[٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ **بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء**))[٥] .

وعند الترمذي: ((**إن الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي**)) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح [٦].

وعند أحمد: ((**طوبى للغرباء . فقيل: من الغرباء يا رسول الله ؟ قال: أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**))[٧] .

---

[١] تفسير ابن كثير (١٧٤/٢) .

[٢] رواه مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١٩٩/١) .

[٣] رواه مسلم كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ : أنا أول الناس يشفع في الجنة (١٨٨/١) .

[٤] رواه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب و السنة باب قول النبي ﷺ : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق (٣٠٦/١٣) الفتح ، و مسلم كتاب الإمارة باب قوله ﷺ : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق .. (١٥٢٣/٣) .

[٥] رواه مسلم كتاب الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً و سيعود غريبا (١٣٠/١) .

[٦] رواه الترمذي كتاب الإيمان باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً و سيعود غريباً (١٨/٥) .

[٧] مسند أحمد (١٧٧/٢) .

وأكّد الأئمة والعلماء على هذا الأمر: قال سفيان بن عيينة: (اسلكوا سبل الحق ولا تستوحشوا من قلة أهلها)[١]. و قال سليمان الداراني: (لو شك الناس كلهم في الحق ما شككت فيه وحدي)[٢] . و قال الفضيل بن عياض: (الزم طرق الهدى و لا يضرك قلّة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين) [٣] .

إن الاهتمام ينبغي أن يكون بالنوعيّة لا بالكمية، فالعبرة بالنوعية لا بالعدد، ففي بدر كان النصر حليف القلّة المؤمنة على الكثرة، ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٣] وفي المعارك كلّها كان المسلمون قلّة أمام كثرة أعدائهم، ففي بدر واجه ثلاثمائة من المسلمين ألفاً من المشركين، و في أُحُد واجه سبعائة مسلم ثلاثة آلاف مشرك، وفي مؤتة ثلاثة آلاف في مقابلة مائتي ألف، وفي اليرموك أربعة وعشرون ألفاً يواجهون مائة وعشرين ألفاً، وفي القادسية قاتل ثلاثون ألفاً مائتي ألف، و هكذا .. ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] .

فاعمل لهذا الدّين و لو قلّ المستجيبون، فلو استجاب لك رجل واحد، واهتدى على يديك بفضل الله فقد نلت خيراً عظيماً، عن سهل بن سعد قال قال النبي ﷺ يوم خيبر .. ((**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النعم**))[٤] . و لو لم يستجب لك أحد فقد قمت بواجبك ووقع أجرك على الله، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

٧- أمراض تصيب العاملين في الدعوة:

نختم بذكر بعض الأمراض التي تصيب بعض العاملين في حقل الدعوة:

١- تعجّل النتائج: يتعجل البعض نتائج الدعوة، ويحاول اختصار الزمن، فهو يريد أن يزرع ويحصد في يوم واحد، يريد في ليلة وضحاها أن تتبدّل الأمور وأن يصبح النّاس كنفس واحدة في الإيمان والطاعة، فإذا لم ير نتيجة عمله سريعاً تراه ينقلب على عقبيه، فيقع في أحد أمرين: إما التهور وإما الفتور .

---

[١] صفة الصفوة (٢٣٥/٢) .

[٢] البداية و النهاية (٢٥٧/١٠) .

[٣] الوجيز في منهج السلف الصالح (٣١) وآداب حملة القرآن (٥٨/١) بنحوه .

[٤] رواه البخاري كتاب الجهاد و السير باب فضل من أسلم على يديه رجل (١٦٨/٦) الفتح ، و مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي (١٨٧٢/٤) .

نقول: إن الواجب على المسلم هو العمل والدعوة، وليس مسؤولاً عن العواقب والنتائج، وهذا ما دلت عليه كثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ ﴾ [آل عمران: ٢٠] . و قوله: ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ [العنكبوت: ١٨] . وقوله: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ [الرعد: ٤٠] . وقوله: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] . وفي حديث خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: ((**كان الرجل قبلكم يؤخذ فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، ما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئبَ على غنمه، ولكنكم تستعجلون**))[1]. فالاستعجال في الأمور غير محمود، وإن كان هذا صفة في عموم الناس: ﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً ﴾ [الإسراء: ١١] . بل المطلوب من الإنسان التمهل والتروي وعدم التسرع والتعجل . فالأمر بحاجة إلى الصبر والمصابرة والجدّ والاجتهاد والعمل الدؤوب حتى يتمكّن الإنسان من جني ثمرة عمله .

وكمثال على هذا الأمر ضرب النبي ﷺ مثلاً بالدعاء فقال: ((**لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل . قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال ؟ قال: يقول: قد دعوت و قد دعوت فلم أرَ يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك و يدع الدعاء**))[2] .

نتيجة للتعجل يصاب الإنسان بداء آخر وهو:

٢ـ الفتور: وهو الضعف والانكسار والوهن واليأس، ويراد به انعدام الهمة وترك الحماسة للشيء فيؤدي إلى تركه، و قد يؤدي إلى مواجهته ومحاربته بعد أن يصاب الإنسان باليأس والقنوط وهذا أمر سلبي سيء، فقد نهى الله عن اليأس والقنوط فقال: ﴿ وَلا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف : ٨٧] .

---

[1] رواه البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام (٦/٧١٦) الفتح .

[2] رواه البخاري كتاب الدعوات باب يستجاب للعبد ما لم يعجل (١١/١٤٥) الفتح ، و مسلم كتاب الذكر و الدعاء باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل (٤/٢٠٩٦) .

وقال: ﴿ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٣] . ويقول ابن القيم: (من استطال الطريق ضعف مشيه)[1].

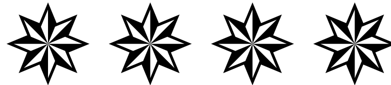
إن المسلم ـ وخصوصاً من يدعو إلى الله ـ لا يعرف الضعف والوهن مهما كانت قسوة الظروف وشدّة الأحداث، قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦] وقال: ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩] .

ثم قد يصاب الإنسان بداءٍ آخر نتيجة التعجل وهو:

٣ـ **التهور**: وهو الوقوع في الشيء لقلة المبالاة، فعندما يستعجل الإنسان في أهدافه ويخفق في تحقيق هذه الأهداف يقع في أمر آخر وهو التسرع والتهور وعدم الحكمة في التصرف، فيقوم بأعمال ويتصرف تصرفات غير مقبولة تُسيء إليه وإلى الدعوة، إن لم تكن سبباً في ضرب الدعوة والقضاء عليها .

وفي الختام: بالحكمة والتّعقّل والبصيرة، وبالجدّ والاجتهاد وبذل الجهد، وبالصبر والأناة والتّأني، وبالرفق واللين وخفض الجناح، وبالصدق والإخلاص، وبالعلم والعمل والدعوة، وبالتوكل على الله وتفويض الأمر إليه، يسير العامل للإسلام على نور، وفي طريق مستقيم، فيقوم بعمله، ويفرح بثمره، ويسعد بسعيه، وينال رضوان ربه .

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم من أهل العلم، العاملين به، والدّاعين إليه، وصلى الله على نبينا محمد وآله و صحبه أجمعين، و الحمد لله رب العالمين .



[1] الفوائد (١/٧٨) .



إدمان الكحول وآثاره

الأستاذ: حسَّان رفيق أدهمي ❖

مُقَدِّمَة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فإن الله تعالى أحل لنا الطيبات جلباً للمنافع، وحرم علينا الخبائث دفعاً للمفاسد، وأمر العباد تخييراً ونهاهم تحذيراً، وكلّف يسيراً ولم يكلف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، فله الحمد.

فمن جملة ما حرم الله تعالى الخمر لما يترتب على شربها من المفاسد الكبيرة والمضار الكثيرة، وقد بيّن لنا رسول الله ﷺ أنها من أصول الشر كما جاء في الحديث: ((**لا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَر**))[1].

ولما كانت هذه حقيقة الخمر وجب العمل على بيان أضرارها والتحذير من آثارها. وهذه الدراسة خطوة متواضعة في هذا الموضوع آملين من الله أن ينفع بها وأن يجعلها في ميزان حسنات العاملين على نشرها.

والخمر كما كانت معروفة عند العرب في الفترة التي بُعثَ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم شراب ينتج عن تخمير المواد السكرية والنشوية مثل التمر والعنب والعسل والحنطة والشعير، ويترتب على شربه حالة من الاضطراب العقلي وعدم التوازن النفسي والعصبي والجسدي. وكانت نسبة المادة الفعالة في الخمر (الكحول) لا تتعدى ١٤ أو ١٥ بالمائة وهي أعلى نسبة كانت تنتج عن عملية التخمير في ذلك الوقت إذ لم تكن عمليات التقطير لرفع نسبة الكحول فيها معروفة.

❖ حاصل على دبلوم في الكيمياء الصناعية. عمل في مجال البحث العلمي والمختبرات الجامعية والبترولية وهندسة البترول والإدارة والمالية والسلامة العامة وشؤون التدريب. اهتم بعلوم القرآن وأجيز بتدريسه، ومارس الوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله.

[1] رواه ابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

وأثبتت الأبحاث الطبية الحديثة والتحاليل المخبرية والفحوصات السريرية أن الخلل الذي يصيب أجهزة الإنسان المختلفة سببه ارتفاع نسبة الكحول في الدم نتيجةً لشرب الخمر. والكحول هو القاسم المشترك في تركيب الخمور، وتتفاوت نسبته بحسب المواد الأولية المخمّرة وتَبَعَاً لطريقة التخمير وأساليب المعالجة الصناعية المستعملة. ويطلق على الخمر الآن أسماء مختلفة مثل المشروبات الكحولية والمشروبات الروحية والمسكِرات وغيرها، غير أن هذه المسميات لا تغير من حقيقة الخمر ولا من أثرها على الإنسان والمجتمع.

وتتضمن هذه الدراسة أربعة مباحث:

المبحث الأول وجاء فيه حكم الخمر في الشريعة الإسلامية.

المبحث الثاني وجاء فيه حقيقة الكحول وهي المادة الأساسية في الخمور.

المبحث الثالث وجاء فيه أضرار تعاطي الخمور وإدمان الكحول.

المبحث الرابع وجاء فيه أسباب انتشار إدمان الكحول ووسائل منعه والحد من انتشاره.

المبحث الأول

الخمر في الشريعة الإسلامية

كانت الخمر من الأشربة المحببة عند العرب في الجاهلية بالرغم مما كان يترتب على شربها من المضار والمفاسد. وكان المسلمون يشربونها قبل نزول آيات التحريم والأمر باجتنابها . وجاء الإسلام فحرَّمها تحريماً قاطعاً لأن الأصل في التكاليف الشرعية جلب المنافع ودرء المفاسد . وقد جاء هذا التحريم قبل قرون عدة من ثبوت أضرارها بالبحوث الطبية والتحاليل الكيميائية والدراسات الاقتصادية والاجتماعية. وجاء التحريم تدريجياً من خلال أربع آيات في القرآن الكريم فبدأ بالتعريض، ثم بالتنبيه الى أضرارها، ثم بالتحريم الجزئي، ثم بالتحريم النهائي. قال تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [سورة النحل: ٦٧] .

﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا ﴾ [سورة البقرة: ٢١٩] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [سورة المائدة: ٩٠- ٩١] .

وقال ﷺ: ((لا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَر))[١] .

((لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَّانٌ وَلا عَاقٌّ وَلا مُدْمِنُ خَمْرٍ))[٢] .

((مُدْمِنُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ وَثَنٍ))[٣] .

والأضرار المترتبة عن شرب الخمر كثيرة أهمها ما ذكره الله تعالى في الآية (٩١) من سورة المائدة وهي إيقاع العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة .

ومن أضرارها:

- ❖ إفسادها للجسد وأعضائه المختلفة .
- ❖ ما تُحدثه من فساد في العلاقات الاجتماعية والروابط الأسرية .
- ❖ أنها مضيعة للمال والوقت .
- ❖ أنها تحض على الفجور والفسوق والمجون .

ذهابها بالعقل ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الخمر ما خامر العقل . ويقول ابن الوردي في لاميّته:

واهجُرِ الخَمرَةَ إن كنتَ فَتى   كيف يسعى في جنونٍ مَن عَقَل

ويقول شاعر آخر:

شربتُ الإثم حتى ضل عقلي   كذاك الإثم يذهب بالعقول

والعقل هو الأداة التي يميّز الإنسان بها المصالح والمنافع من المفاسد و المضار، والتي تمنعه من الانقياد إلى شهواته ورغباته انقياداً أعمى، وتحول بين الإنسان وبين فعل ما يضره مادياً أو معنوياً أو الاستجابة لما يسبب ذلك. والعقل أيضاً مجموعة من الموانع

---

[١] رواه ابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير .

[٢] رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير .

[٣] رواه البخاري في التاريخ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

الأخلاقية والروابط والزواجر التي تتكون لدى الإنسان بالتربية والمران والخبرة[١]. فإذا فقد العقل وظيفته أصبح الإنسان أسيراً لشهواته وغرائزه وعُرضةً لجلب المفاسد لنفسه وغيره .

واختلف العلماء في تعريف الخمر، ولكن رسول الله ﷺ بيّن لنا حقيقتها بقوله:

((**كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**))[٢].

فهذا التعريف تناول كل أنواع المسكر ولم يخص نوعاً خاصاً، وقد سمّاه خمراً أفصح الأمة لساناً، وذكر عليه الصلاة والسلام الحُكم وهو التحريم والعلة الجامعة وهي الإسكار . وعرّف عمر بن الخطاب ﷺ الخمر بأنها ما خامر العقل أي خالطه وأفسده .

واختلف العلماء في تعريف السُكر وخلاصة أقوالهم أنه حالة من الاضطراب يغيب معها العقل وتتأثر الحواس جزئياً أو كلياً .

والشريعة أوجبت العقاب على شرب المُسكِر قليلاً كان أو كثيراً وسواءً سَكِر الشارب أم لم يَسكَر .

واختلف العلماء في نجاسة الخمر، فالجمهور ومنهم فقهاء المذاهب الأربعة أنها نجسة نجاسة عينية، وقال بطهارتها ربيعة وداود الظاهري والليث بن سعد والمزني وبعض المتأخرين .

المبحث الثاني

تركيب الكحول ومصادره

١. تعريف الكحول وتركيبه:

الكحول اسم عام يطلق على مجموعة من المركبات الكيماوية تتشابه في بعض الصفات والخصائص وتتكون من ذرات الهيدروجين والأوكسجين والكاربون .

وأصل الكلمة في اللغة (الغَول) وهو ما ينشأ عن شرب الخمر من صُداع وسَكَر لأنه يغتال العقل، ويقال غالت الخمر فلاناً أي ذهبت بعقله أو صحة بدنه[٣].

وقد نفى الله عن خمر الجنة هذه الصفة بقوله:

﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ [الصافات:٤٧] .

---

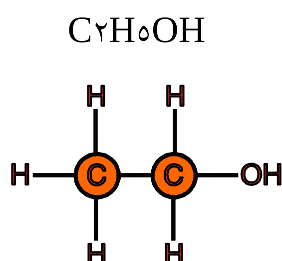
[١] الخمر بين الفقه والطب. د.محمد علي البار .

[٢] رواه مسلم وأصحاب السنن وأحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير .

[٣] لسان العرب . ابن منظور .

وقد شاع استعمال كلمة الكحول للتعبير عن الكحول الإيثيلي أو الإيثانول وهو المادة المشتركة في المشروبات الكحولية، والسبب المباشر للخلل الذي يصيب جسم الإنسان وجهازه العصبي وتوازنه النفسي والفكري، ويُرمز إليه بالتركيب التالي:

$$C_2H_5OH$$



وحيث أن كلمة كحول لا تحدد بشكل دقيق التركيب الكيميائي للمواد، اعتمدت معظم الهيئات المسؤولة عن المواصفات والمقاييس وجوب استعمال الاسم الكيماوي فقط للتعبير عن نسبة الكحول فيها. ومثال ذلك ما جاء في قرارات الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس في اجتماعها رقم ٦٥ بتاريخ ١٤٠٧/٧/٧ هجرية بوجوب استعمال الاسم الكيماوي فقط في جميع المواصفات القياسية وبالأخص في المواد الكحولية .

والكحول الإيثيلي أو الإيثانول سائل شفاف طيار وسهل الاحتراق، سريع وشديد الذوبان في الماء، ويغلي عند درجة ٧٨,٨ مئوية. ويُستعمل الإيثانول كمذيب في كثير من الصناعات كالأدوية والأصباغ ومواد التنظيف، وفي إنتاج العطور ومستحضرات التجميل والمخدرات ووقود السيارات والمشروبات الكحولية . وكل ما سيأتي في هذه الدراسة بلفظ الكحول يعبّر عن الإيثانول ما لم يُذكر غير ذلك .

٢. مصادرالإيثانول :

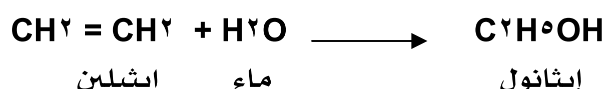
أهم المصادر للإيثانول مصدران: تخمير المواد السكرية والنشوية، والتركيب الكيميائي .

تخمير المواد السكرية و النشوية (Fermentation of Sugars & Starches) .

لا تزال عملية التخمير هي المصدر الوحيد للكحول المعد للاستهلاك البشري عن طريق المشروبات الكحولية، والمصدر الأساسي لحوالي ثلثي الكحول المعد للاستعمال الصناعي، وسوف يأتي الحديث بإذن الله مفصلاً عن عملية التخمير في فصل صناعة المشروبات الكحولية .

التركيب الكيميائي (Synthesis)

ويكون ذلك اعتماداً على مركبات من النفط والغاز الطبيعي ومثال ذلك:



والإيثانول المحضر بهذه الطريقة لا يمر في عملية تحضيره بمرحلة التخمير، و إنما يكون نتاجاً لتفاعل الماء مع مواد أولية ليست من مكونات الخمر وليست الخمر أحد مكوناتها . ولا يمنع هذا أن تنطبق عليه الأحكام الشرعية المتعلقة بالخمر في حال شربه لأنه يُحدث نفس التأثير الذي تُحدثه الخمر من حيث الإسكار والذهاب بالعقل .

٣. الإيثانول في المشروبات الكحولية:

إن المصدر الأساسي للمشروبات الكحولية بكافة أنواعها هو عملية التخمّر. ويتبع التخمّر بعض الخطوات الأخرى، ويعتمد ذلك على المواصفات المطلوبة في المشروب من حيث نسبة الكحول والطعم. وأهم الخطوات التي تتبع عملية التخمّر رفع نسبة الكحول في المشروب وذلك بالإضافة أو التقطير .

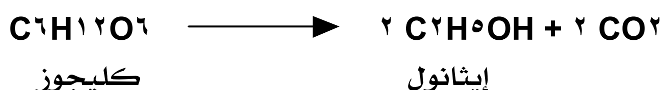
❖التخمّر (Fermentation):

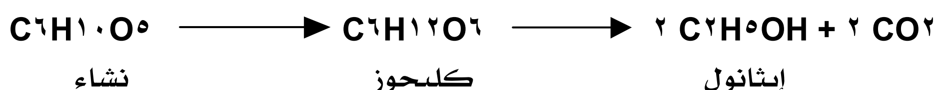
تعد عملية التخمر من أقدم العمليات الكيميائية المعروفة عند الإنسان . وقد كانت تُعرّف بأنها عملية تحوّل كيميائية تتم بمعزل عن الهواء لمركبات عضوية معقدة إلى مركبات أقل تعقيداً بواسطة الخمائر (Yeast) . ولكن التعريف الحديث لها هو أي عملية تحول مايكروبيولوجية يتحكّم بها الإنسان لصناعة منتجات مثل المضادات الحيوية والخمائر والفيتامينات[١].

أما فيما يختص بصناعة الخمور فإن عملية التخمّر هي تحويل المواد السكرية والنشوية إلى مشروبات يكون الكحول العنصر الأساسي فيها ويرمز إليها بالمعادلات الكيميائية المبسطة التالية:

---

[١] Encyclopedia of Chemical Technology





ولا بد لعملية التخمّر من تواجد المواد والظروف الملائمة وهي:

١) المواد السكرية أو النشوية بشكل سائل أو مع بعض الماء.

٢) الخمائر المطلوبة لإحداث التغيُّر الكيميائي (Yeast).

٣) الظروف الملائمة مثل الحرارة المعتدلة وقلة الهواء.

ومتى توفرت الظروف المذكورة فإن عملية التخمّر تستمر حتى تحَوّل كافة المواد السكرية أو النشوية إلى إيثانول، أو عندما تصل نسبة الإيثانول في السائل إلى حوالي ١٤ أو ١٥ بالمائة حيث يدمّر الإيثانول الناتج عن عملية التخمّرالخميرة، وبالتالي يؤدي ذلك إلى توقف عملية التخمّر حتى ولو لم يتم تحَوّل كافة المواد السكرية والنشوية إلى إيثانول .

وينتج عن عملية التخمّر سائل يحتوي على نسبة معينة من الإيثانول تختلف حسب ظروف عملية التخمّر ولكنها لا تتعدى نسبة ١٤ أو ١٥ بالمائة .

❖ **زيادة نسبة الكحول في المشروبات الكحولية:**

تُرفع نسبة الكحول في المشروبات الكحولية بإحدى طريقتين:

أ. إضافة الكحول الصافي إلى المشروب:

وذلك بكمية معلومة بحيث تصل نسبة الكحول إلى الدرجة المطلوبة ومثال ذلك:

ليتر من النبيذ الذي يحتوي على ١٠ بالمائة من الكحول يحتاج إلى ٥٠ ملليتر من الكحول الصافي حتى يصل إلى نسبة ١٥ بالمائة من الكحول .

ب. التقطير:

تعتمد عملية زيادة نسبة الكحول بواسطة التقطير على انخفاض درجة غليان الإيثانول (٧٨,٨ درجة مئوية) بالمقارنة مع الماء (١٠٠ درجة مئوية) .

وتتلخص العملية في غلي المشروب حتى تصل درجة حرارته إلى ٧٨,٨ درجة حيث يتبخر الإيثانول ويتكثف عند تبريده حاملاً معه المواد الخفيفة والنكهة. ويبقى معظم الماء

والشوائب الأخرى في وعاء التبخير. ويمكن بهذه الطريقة زيادة نسبة الكحول حتى ٩٠ بالمائة أو أكثر[١].

٤. أنواع المشروبات الكحولية:

تنقسم المشروبات الكحولية من حيث نسبة الكحول فيها إلى أربعة أنواع رئيسية:

❖ البيرة أو الجعة (Beer):

ويصنع معظمها من الحبوب وغالباً الشعير وتحتوي على نسبة كحول من ٢ إلى ٦ بالمائة .

❖ النبيذ الطبيعي غير المعالج (Natural Wine):

ويصنع معظمه من عصير العنب ويحتوي على نسبة كحول من ٧ إلى ١٤ بالمائة .

❖ النبيذ المقوى أو المعالج (Fortified Wine) :

ويصنع من النبيذ الطبيعي بإضافة الكحول الصافي إليه ويحتوي على نسبة كحول من ١٥ إلى ٢٠ بالمائة .

❖ المشروبات المقطرة (Distilled Beverages) :

وتصنع من المشروبات المخمّرة بواسطة التقطير كما هو مبين في فقرة التقطير وتحتوي على نسبة كحول قد تصل إلى ٨٠ بالمائة أو أكثر.

وهناك الكثير من المشروبات الكحولية التي تصنع على صعيد محلي في البلدان المختلفة، و يعتمد ذلك على طبيعة المواد السكرية أو النشوية المتوفرة وغالباً ما يطلق عليها أسماء محلية. ومن هذه المشروبات:

العَرَق اللبناني ويصنع من العنب و يقطّر لرفع نسبة الكحول فيه .

الساكي الياباني ويصنع من الأرز.

النبيذ الهندي ويصنع من جوز الهند.

---

(١) Encyclopedia of Chemical Technology

المبحث الثالث

إدمان الكحول وآثاره

١ـ تعريف الإدمان:

الإدمان لغةً: ملازمة الشيء وعدم الإقلاع عنه، يُقال أدمن الشراب أي لَزِمَهُ ولم يُقلع عنه[١].

واصطلاحاً: هو ملازمة شرب الخمر بشكل مستمر أو متقطع وعدم الإقلاع عن ذلك .

والمدمن حسب تعريف منظمة الصحة العالمية هو الشخص الذي أمعن في تعاطي الكحول بشكل مستمر أو متقطع بحيث وصل إلى درجة واضحة من الاعتماد النفسي والجسدي عليه، و أدّى إلى التأثير على قدراته العقلية والبدنية وإمكانية الحصول على متطلبات حياته الاجتماعية والاقتصادية وأصبح نتيجةً لذلك بحاجة للعلاج الطبي[٢].

وجاء في مراجع جمعية علم النفس الأمريكية تعريفان لِلُزوم شرب الكحول[٣]:

١) الإسراف في تعاطي الكحول .

٢) إدمان الكحول .

والإسراف مرحلة أقل خطراً من الإدمان ولكنها توصِل إليه في حال الاستمرار فيها .

❖ الإسراف في تعاطي الكحول:

نَمَط مُكتسب في شرب الكحول يُفضي إلى إفساد أو إحباط واضح في القدرات. ويُرى من خلال أحد المؤشرات التالية :

١) تعاطي متكرر للكحول يؤدي إلى قصور في أداء الدور المطلوب من الإنسان على صعيد العمل أو المدرسة أو المنزل .

٢) تعاطي متكرر للكحول في مواقف يشكل هذا التعاطي خطراً جسدياً على النفس أو الغير مثل قيادة المركبات بأنواعها أو تشغيل أدوات أو أجهزة ميكانيكية .

---

(١) لسان العرب . ابن منظور .

(٢) الإدمان على الكحول . د. صالح الشيخ كمر .

(٣) Alcohol Related Problems . Recognition and Intervention..Burge & Schneider .

٣) تعاطي متكرر للكحول يؤدي إلى إشكالات قانونية متكررة مثل الغرامات والحجز والتوقيف بسبب سوء السلوك .

٤) تعاطي مستمر للكحول بالرغم من تكرار المشاكل الاجتماعية بسببه مثل الشجارات العائلية .

❖ **الإدمان على تعاطي الكحول:**

نَمَط مكتسب في تعاطي الكحول يُفضي إلى إفساد أو إحباط في القدرات يظهر من خلال ثلاثة أو أكثر من المؤشرات التالية:

◆ الحاجة إلى زيادة كمية الكحول لإحداث نفس المفعول، أو انخفاض درجة التأثر بتعاطي نفس الكميات.

◆ ظهور آثار للانقطاع (Withdrawal Symptoms) مثل ارتفاع سرعة النبض أو الغثيان أو القيء أو الهلوسة، والحاجة إلى إعادة تعاطي الكحول أو مواد أخرى لإزالة آثار الانقطاع أو التخفيف منها .

◆ زيادة معدل التعاطي سواء بزيادة الكميات أو الوقت الذي يُتعاطى فيه .

◆ وجود رغبة مستمرة أو جهود غير مثمرة للتوقف أو لضبط التعاطي .

◆ ضياع قدر كبير من الوقت للحصول على الكحول أو تعاطيه أو التخلص من آثاره .

◆ الانقطاع أو التخلي عن كثير من النشاطات الاجتماعية أو الترفيهية بسبب تعاطي الكحول .

◆ الإصرار على تعاطي الكحول بالرغم من معرفة وإدراك الآثار الجسدية أو النفسية المترتبة على ذلك .

٢. آثار إدمان الكحول على جسم الإنسان:

تُظهر الدراسات الحديثة والتجارب العملية والمراقبة الصحية أن الكثير من أجهزة الجسم يتأثر بإدخال الكحول إليه عن طريق تعاطي الخمور بشكل أو بآخر .

ومن أهم هذه الأجزاء: الجهاز الهضمي، الجهاز العصبي المركزي والقلب. ويؤثر الكحول أيضاً على البصر والنشاط الجنسي والدورة الدموية، ويتسبب في أمراض سوء التغذية والبنكرياس والجلد، ويُضعف العظام والعضلات. وبشكل عام يُضعف الكحول جهاز المناعة عند الإنسان .

❖ **الجهاز الهضمي:**

يسبب تناول المشروبات الكحولية التي تحتوي على نسبة مرتفعة من الكحول تهيّج الأغشية التي تغطي الفم والحلق مما يؤدي إلى زيادة سماكة خلايا الحبال الصوتية، وهذا يفسّر تغير أصوات المدمنين على تعاطي المشروبات الكحولية[١] ويسبب تعاطي الكحول التهابات في البلعوم والمريء والمعدة والبنكرياس، ويعاني شارب الخمر من القيء والفُواق[٢] وحموضة المعدة . ويؤدي الإسراف في تعاطي الكحول إلى التهابات في المعدة ويساهم في تفاقم قرحة المعدة والاثنى عشر[٣].

❖ **القلب والجهاز الدموي:**

أثبتت الدراسات أن مدمني الكحول يواجهون خطر الإصابات بالذبحات أكثر من غيرهم بنسبة تتراوح ما بين ضعفين إلى ثلاثة أضعاف، وذلك بسبب ازدياد دهنية الدم والكولسترول وتصلب الشرايين وضيقها والكحول يصيب عضلة القلب بالتسمم فيعوّقها عن أداء وظيفتها تدريجياً وقد ينتهي الأمر بعجز العضلة التام نتيجةً لنقص فيتامين ب .

❖ **الجهاز التناسلي:**

يؤدي الإفراط في تناول المشروبات الكحولية إلى إعاقة عمل القسم من الدماغ الذي يتحكم بالموانع مما حدا بالبعض أن يظنّوا أن الكحول يزيد من القوة الجنسية. وهذا الاستنتاج ليس صحيحاً، وإنما يذهب الكحول بالحياء والاعتبارات الأخلاقية نتيجة للخلل الذي يصيب أداء الجهاز العصبي المركزي والدماغ. ويعاني مدمني الكحول من الضعف الجنسي نتيجةً لتأثر أعصاب العضو التناسلي وارتفاع نسبة هرمونات الأنوثة في الدم وتظهر علامات الأنوثة في الرجل وتضمر الخصية ويقل شعر العانة والشارب والذقن وتتضخم الأثداء[٤].

---

[١] The new complete Health and Medical Encyclopedia . Substance abuse.

[٢] تكرار الشهقة العالية .

[٣] الخمر بين الفقه والطب . د . محمد علي البار .

[٤] الخمر بين الفقه والطب . د . محمد علي البار .

❖تأثير الكحول على الكبد:

إن من أهم وظائف الكبد تطهير الجسم من السموم التي تتسرب إليه أو تتكون فيه وذلك بإخراجها مع البول أو إرسالها إلى المرارة، ولولا الكبد لعانى الجسم من التسمم وتعرض للموت. فإذا تضرر الكبد بسبب الكحول فقد وظيفته وأصبح مصدر خطر على الجسم[1]. وتتم عملية استقلاب الكحول بنسبة كبيرة في الكبد حيث يتحول إلى ثاني أوكسيد الكاربون وماء وطاقة .

وأهم الأمراض التي تصيب الكبد من جراء إدمان الكحول:

١) الالتهاب الكبدي (Hepatitis): وأعراضه ارتفاع درجة الحرارة وفقدان الشهية والإعياء وآلام البطن .

٢) مرض الكبد الدهني (Fatty Liver): حيث يتضخم الكبد ويصبح دهنياً كبير الحجم أصفر اللون ويؤدي ذلك إلى تسمم البول، وينتهي غالباً بالوفاة وهذه الحالة مميزة لشاربي الخمر .

٣) التليّف الكبدي (Cirrhosis): حيث يتراكم النسيج الليفي في الكبد ويترسب الحديد في الخلايا ويعاني المريض من فقر الدم ونقص الفيتامينات والبروتينات وتتراكم هرمونات الأنوثة في الدم .

❖ جهاز المناعة ضد الالتهابات:

تشير الدراسات إلى أن مدمني الكحول والذين غالباً ما يعانون من سوء التغذية تكون مقاومتهم للالتهابات أقل من غير المدمنين . وعندما ترتفع نسبة الكحول في الدم إلى أكثر من (٠,١٥) بالمائة فإن الكحول يُضعف قدرة خلايا الدم البيضاء على مقاومة الأمراض .

❖ عدم توافق الكحول مع بعض الأدوية:

يتعارض الكحول مع عدد كبير من الأدوية وأهمّها :

١) المثبِّطات للجهاز العصبي المركزي مثل المسكنّات والمهدّئات والمنوّمات .

٢) أدوية مرضى السُكَّر .

٣) أدوية الصرع .

---

[1] الأضرار الصحية للمسكرات والمخدرات والمنبهات. د . محمد علي البار.

٤) المخدرات العامة عند إجراء العمليات الجراحية لأن المدمن يحتاج إلى جرعة أكبر من المعتاد لإحداث التخدير العام [١].

❖ تأثير الكحول على الجهاز العصبي المركزي:

يؤثر الكحول إلى درجة كبيرة على تركيب ووظائف الجهاز العصبي المركزي عند الإنسان وذلك بتعطيل قدرته على استرجاع و تجميع المعلومات، فالاستهلاك المعتدل للكحول يؤثر على أدوات التعرف والتمييز، و الإكثار يؤثر على نسبة وصول الأوكسجين إلى الدماغ مما يسبب إعاقة عمله وإصابته بالشلل المؤقت، والإسراف يؤدي إلى تدمير خلايا الدماغ . ويقول الدكتور محمد علي البار: (إن أهم جهاز في جسم الإنسان يتأثر بشرب الكحول هو الجهاز العصبي لأنه يتكون من مواد دهنية و بروتينية وذلك أن للكحول خاصّية الاتحاد مع الدهون وإذابتها. وأول الخلايا التي تتأثر هي خلايا المخ المسؤولة عن التفكير والإرادة والحكمة والعلم)[٢]. وتظهر الدراسات أن القدرات التي تُكتسب مؤخراً وفي مقدمتها السلوك والتصرف هي التي تتأثر أولاً بارتفاع نسبة الكحول في الدم .

وتبين اللائحة التالية العلاقة بين ارتفاع نسبة الكحول في الدم والخلل الذي يصيب الجهاز العصبي المركزي عند الإنسان ويظهر من خلال أعراض على سلوكه ونقص في قدراته الفكرية و البدنية[٣].

---

[١] الإدمان على الكحول. د. صالح الشيخ كمر.

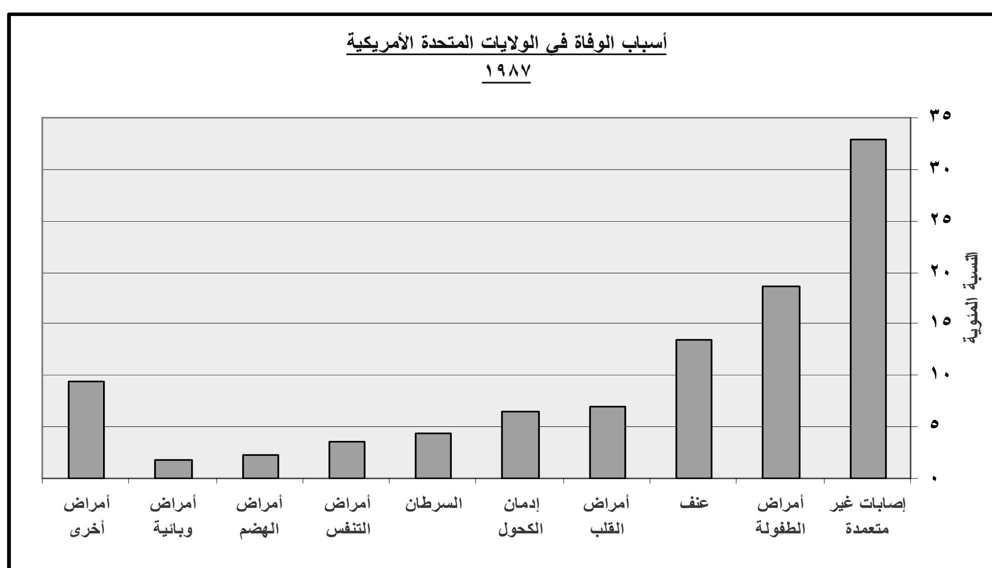
[٢] الخمر بين الفقه والطب . د. محمد علي البار .

[٣] Alcohol and the Human Body . Intoxemeters Inc .

العلاقة بين نسبة الكحول في الدم والعوارض عند الإنسان

نسبة الكحول في الدم(غرام في ١٠٠ ملل)	المرحلة	العوارض
٠,٠١ ـ ٠,٠٥	غير مصنفة	تصرف شبه طبيعي بالملاحظة العادية
٠,٠٣ ـ ٠,١٢	بداية التأثر	نقص في الانتباه والسيطرة والتمييز . بدء تأثر الجهاز الحسي.
٠,٠٩ ـ ٠,٢٥	الإثارة	نقص في الحس والذاكرة والفهم . نقص في الاستجابة الحسية وزيادة في سرعة الانفعال . نقص في حدة البصر والتفاعل مع الوهج . عدم توافق الحس الحركي وفقد التوازن . نعاس .
٠,١٨ ـ ٠,٣٠	التشوش	عدم تركيز . تشوش ذهني . دوار . اضطراب في البصر وعدم تمييز الألوان والأشكال والأبعاد . زيادة في عدم التوافق الحركي . ترنح في المشي وعدم وضوح في الكلام. فتور في الشعور . لامبالاة . نعاس شديد .
٠,٢٥ ـ ٠,٤٠	الغيبوبة الجزئية	سكون عام في الحركة . فقدان الوظائف الحركية . عدم توافق عضلي . فقدان القدرة على الوقوف والمشي . تقيؤ . فقدان وعي جزئي . نوم . غيبوبة جزئية .
٠,٣٥ ـ ٠,٥٠	الغيبوبة التامة	فقدان وعي تام . نقص أو فقدان رد الفعل . انخفاض درجة الحرارة . اضطراب في التنفس والدورة الدموية . احتمال الوفاة .
٠,٥٠ فأكثر	الوفاة	الوفاة بسبب فقد التنفس .

ويبين المخطط البياني التالي النسب المئوية لأسباب الوفاة المستخلصة من دراسة أجريت على عينات من المجتمع الأمريكي حيث يأخذ إدمان الكحول مركزاً متقدماً من حيث سبب الوفاة على كثير من الأسباب منها الموت بسبب السرطان .



٣. الآثار الاقتصادية لإدمان الكحول:

من المعروف أن حساب التكاليف الاقتصادية لأي مرض هو أحد الوسائل لتقدير الأثر العام لهذا المرض على المجتمع .

وبالرغم أنه ليس من السهل معرفة التكاليف الاقتصادية لإدمان الكحول إلا أن الدراسات التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من البلدان الأوروبية تعطي فكرة عن أبعاد المشكلة وتسلط الضوء على القطاعات الأكثر تأثراً بها من حيث الميزانيات والنفقات .

وتعتمد الدراسات على حساب الأمور التالية [١]:

١) تكاليف الرعاية الصحية المرتبطة بإدمان الكحول، وتشمل الاستشفاء والعلاج والعناية والمضاعفات الصحية والنفسية .

٢) نقص الدخل والإنتاجية المترتب عن الموت المبكّر وتعطيل الإنتاج والغياب عن العمل نتيجة لإدمان الكحول .

٣) الأضرار التي تلحق بالمجتمع والناتجة عن الجرائم والانتحار وحوادث المرور وما شابهها المرتبطة بإدمان الكحول .

وقد أظهرت الكثير من الدراسات بالرغم من اعتمادها على أساليب مختلفة في حساب هذه التكاليف نتائج متقاربة من حيث الأرقام. ويبدو حجم هذه التكاليف في التقارير التي تُرفع إلى الجهات المسؤولة في البلدان التي ينتشر فيها إدمان الكحول. وكمثال على ذلك التقرير التالي والذي يبيّن تفصيل هذه التكاليف في عام ١٩٩٢ في الولايات المتحدة الأمريكية. ومصدر هذه الأرقام التقرير الخاص السادس إلى الكونغرس عن الكحول والصحة من سكرتير الخدمات الإنسانية.

---

(١) The Economic Costs of Alcohol and Drug Abuse in The United States . NIDA

الكلفة الاقتصادية لإدمان الكحول والمخدرات في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٢

الكلفة الاقتصادية	إدمان الكحول (ملايين الدولارات)	المخدرات (ملايين الدولارات)
تكاليف العناية الصحية		
علاج واستشفاء	٥٥٧٣	٤٤٠٠
مضاعفات طبية	١٣٢٤٧	٥٥٣١
نقص الدخل والإنتاجية		
الموت المبكر	٣١٣٢٧	١٤٥٧٥
قصور في الإنتاجية	٦٧٦٩٦	١٤٢٠٥
خسارة بسبب دخول المصحات	١٥٩٣	١٤٧٧
خسارة بسبب الحجز والتوقيف	٥٣٤٩	١٧٩٠٧
خسارة بسبب الجريمة	٧٣٢٤	٣٩٢٢٧
آثار أخرى على المجتمع		
إدارة الخدمات الاجتماعية	١٠٢٠	٣٣٧
حوادث السيّارات	١٣٦١٩	-
الخسائر بسبب الحرائق	١٥٩٠	-
المجموع العام	١٤٨٣٢٨	٩٧٦٥٩

كما تبين اللائحة الآتية تطوّر التكاليف الاقتصادية لإدمان الكحول في الفترة الزمنية من ١٩٨٠ إلى ١٩٩٥ .

خسائر إدمان الكحول في الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٨٠ - ١٩٩٥

الكلفة الاقتصادية	السنة			
	١٩٨٠	١٩٨٥	١٩٩٢	١٩٩٥
تكاليف العناية الصحية	١٠	١٥	١٩	٢٢
نقص الدخل والإنتاجية	٦٩	٨٩	١٠٧	١١٩
حوادث / جرائم / حرائق	١٠	١٣	٢٢	٢٥
المجموع العام	٨٩ مليار دولار	١١٧ مليار دولار	١٤٨ مليار دولار	١٦٦مليار دولار

المراجع:

الكلفة الاقتصادية للإفراط في الكحول والمخدرات في الولايات المتحدة الأمريكية . هاروود و فاونتين (١٩٩٢)
الكلفة الاقتصادية للإفراط في الكحول والاعتماد عليه في الولايات المتحدة الأمريكية. د.ب.برايس (١٩٩٠)
الكلفة الاقتصادية للإفراط في الكحول والمخدرات والأمراض العقلية في الولايات المتحدة الأمريكية.مؤسسة المثلث للأبحاث.

٤. الآثار الاجتماعية لإدمان الكحول:

هناك الكثير من الآثار الاجتماعية المباشرة وغير المباشرة لإدمان الكحول. وتظهر هذه الآثار بشكل ملموس في الجوانب المهنية والعائلية والسلامة العامة .

❖ **الصعيد المهني:**

على الصعيد المهني تزداد نسبة الغياب عن العمل والتأخر في الحضور والإجازات المرضية. وتُظهر إحدى الدراسات التي أجريت في أحد المرافق الصناعية الكبيرة أن نسبة الغياب عن العمل عند المدمنين ضعفين ونصف الضعف عن غيرهم . كما أنهم حصلوا على تعويضات مرضية بلغت ثلاثة أضعاف غير المدمنين.كما تظهر آثار إدمان الكحول في عدم القدرة على التركيز أثناء العمل وفي الخلل في علاقات المدمن بزملائه ومرؤوسيه مما يؤثر على أدائه بشكل عام .

❖**الصعيد العائلي:**

أما على الصعيد العائلي فإن إدمان الكحول يساهم بنسبة كبيرة في تدمير البيئة النفسية السليمة لجميع أفراد العائلة، وغالباً ما يؤدي إلى الانفصال الزوجي وإلى تقويض الحياة الأسرية بشكل عام. ويُرى ذلك في الأمور الآتية:

◆ ارتفاع معدل حالات الطلاق والانفصال في العائلات التي يكون فيها أحد الزوجين مدمناً. ويصل هذا المعدل إلى (٤) أضعاف مقارنة مع العائلات الأخرى .

◆ هناك الكثير من الأدلة العلمية على أن أطفال المدمنين عرضة للإصابة بالإدمان أكثر من غيرهم بنسبة (٤) أضعاف. و تبين الإحصائيات أن ثلث المدمنين يكون لديهم أحد الوالدين مدمناً، وتُظهر الدراسات أن أطفال المدمنين يعانون أكثر من غيرهم من الإحباط ويُرى أثر ذلك في العوارض الآتية:

◆◆التبوّل اللاإرادي أثناء النوم، البكاء المفاجئ، الخوف من الذهاب إلى المدرسة، ندرة الأصدقاء ورؤية الكوابيس .

◆◆ تُظهر الدراسات أيضاً أن أطفال المدمنين يتعرّضون بشكل أكبر من غيرهم لصعوبات ومشاكل صحية ونفسية . ويُرى أثر ذلك في ارتفاع نسبة دخولهم المستشفيات والخلل النفسي والإصابات بالحوادث وأيضاً في تكاليف الرعاية الصحية العامة .

◆◆ تُظهر الدراسات أيضاً أن أبناء المدمنين ينخفض أداؤهم في الجوانب الدراسية وفي المقابلات الشخصية للحصول على عمل وفي القدرة على تطوير علاقاتهم الاجتماعية .

وبالمقارنة مع العائلات الأخرى فإن العائلات التي يكون فيها أحد الزوجين أو كلاهما مدمناً نرى:

- قدرة أقل على حل المشاكل العائلية سواءً بين الزوجين أو بقية أفراد العائلة مما يزيد من حدة الصراعات .
- يصبح العنف بين الزوجين أو بقية أفراد العائلة أمراً مألوفاً لكثرة تكراره .
- تظهر بوادر العدائية والتهور وحب الإثارة عند الأولاد .
- يتكون لدى الأولاد شعور بالحاجة إلى الحنان و السكينة مما يدفعهم للبحث عنه خارج المنزل .

❖ **صعيد الأمن الاجتماعي والسلامة .**

تظهر الدراسات أن معدل احتمال الوفاة بسبب الحوادث المختلفة يرتفع عند مدمني الكحول بنسبة كبيرة تختلف حسب نوع الحادث أو سببه .

ولاشك أن إدمان الكحول يلعب دوراً أساسياً في رفع معدل الجرائم والاعتداءات الجسدية والجنسية. وتذكر الإحصائيات في الولايات المتحدة الأمريكية حوالي ثلاثة ملايين حادث عنف سنوياً بما فيها الاغتصاب والتحرش الجنسي والسرقات والاعتداءات الجسدية البسيطة يكون فيها المعتدي تحت تأثير الخمر . واستناداً إلى إفادات الضحايا نرى أثر إدمان الكحول في الجريمة من خلال البيانات الآتية:

نوع الجريمة	العدد السنوي
الاغتصاب و الاعتداء الجنسي	١٨٣,٠٠٠
السرقات	١٩٧,٠٠٠
الاعتداءات المتوسطة	٦٦١,٠٠٠
الاعتداءات الخفيفة	١,٧٠٠,٠٠٠

وتبيّن اللائحة التالية دور إدمان الكحول في الجرائم والجنايات في الولايات المتحدة الأمريكية[١]

النسبة المئوية المرتبطة بإدمان الكحول	نوع الجريمة
٥٤	القتل العمد
٦٨	القتل غير العمد
٦٢	الاعتداء
٤٨	السرقات
٤٤	السطو ليلاً

وعلى صعيد حوادث الطرق فإن نصف الوفيات فيها تقريباً سببه القيادة تحت تأثير الخمور .

وتبيّن اللائحة التالية عدد الإصابات في حوادث الطرق في بريطانيا حيث كانت نسبة الكحول في الدم أكبر من النسبة المسموح بها (٠,٠٨ بالمائة) بين عامي ١٩٩٠ و ١٩٩٩.

المجموع	إصابة خفيفة	إصابة خطيرة	إصابة مميتة	السنة
٢٠٤٠٠	١٥٥٥٠	٤٠٩٠	٧٦٠	١٩٩٠
١٧٨٨٠	١٣٦١٠	٣٦١٠	٦٦٠	١٩٩١
١٦٧١٠	١٢٧٧٠	٣٢٨٠	٦٦٠	١٩٩٢
١٤٩٨٠	١١٧٨٠	٢٦٦٠	٥٤٠	١٩٩٣
١٥١٦٠	١١٧٨٠	٢٨٤٠	٥٤٠	١٩٩٤
١٥٩٩٠	١٢٤٥٠	٣٠٠٠	٥٤٠	١٩٩٥
١٧٠٤٠	١٣٤٥٠	٣٠١٠	٥٨٠	١٩٩٦
١٦٨٠٠	١٣٣١٠	٢٩٤٠	٥٥٠	١٩٩٧
١٥٥٩٠	١٢٦١٠	٢٥٢٠	٤٦٠	١٩٩٨
١٦٨٣٠	١٣٩٨٠	٢٤٣٠	٤٢٠	١٩٩٩

---

(١) Children of Alcoholics . Important Facts

وقد استُحدث الكثير من القوانين في الدول الغربية وغيرها التي تحدد نسبة معينة للكحول في الدم يعتبر بعدها السائق مخموراً أو تحت تأثير الكحول . وهذه النسبة تبدأ من (٠,٠٢) بالمائة في بعض البلدان وتصل إلى (٠,٠٨) في بعض البلدان الأخرى . وَوُضعت العقوبات للقيادة تحت تأثير الكحول تتراوح بين الغرامات المالية وسحب رخص القيادة والسجن لفترات متفاوتة . وفي بعض البلدان مثل الولايات المتحدة الأمريكية تتضمن العقوبات زيارات إلى المشرحة والمستشفيات لرؤية ضحايا القيادة تحت تأثير الخمر ومناقشات إلزامية بين المتسببين والضحايا أو مع أقربائهم. وتبين اللائحة التالية نسبة الكحول القصوى في الدم للسائق في الدول الأوروبية والعلاقة بين هذه النسبة وبين العقوبات المترتبة على تجاوزها .

الدولة	نسبة الكحول المئوية القصوى في الدم	فترة السجن	مدة فقد الأهلية للقيادة
النمسا	٠,٠٥	شهر واحد	٣ شهور إلى ٣ سنوات
بلجيكا	٠,٠٥	٨ أيام ـ٥ سنوات	١٥ يوم- ٣ شهور
الدانمرك	٠,٠٥	٢٤ ـ٣٠ شهر	غير معلوم
ألمانيا	٠,٠٥	٦ شهور ـ ٥ سنوات	٥ سنوات في حادث مميت
اليونان	٠,٠٥	٣ ـ ٦ شهور	من شهر إلى ١٢ شهر
فنلندا	٠,٠٥	٣ شهور ـ سنتين	٣ شهور
فرنسا	٠,٠٥	شهر ـ سنة	من شهرين إلى سنتين
ايرلندا	٠,٠٨	سنة واحدة	٦ شهور
إيطاليا	٠,٠٥	٥ أيام ـ سنة واحدة	من شهر إلى ٦ شهور
اللوكسمبورغ	٠,٠٨	٣ شهور ـ ١٥ سنة	من يوم واحد إلى ٣ سنوات
هولندا	٠,٠٥	٦ شهور ـ ١٠ سنوات	من ٣شهور الى ٣ سنوات
البرتغال	٠,٠٥	١٥ يوم ـ سنة واحدة	غير معلوم
إسبانيا	٠,٠٥	٣ شهور ـ ٥ سنوات	من شهر إلى ٦ شهور
السويد	٠,٠٢	٣شهور ـ ٣ سنوات	من شهر إلى سنتين
بريطانيا	٠,٠٨	سنة واحدة ـ ١٨ شهر	٦ شهور

المبحث الرابع

أسباب انتشار الإدمان ووسائل منعه والحد من انتشاره

أسباب انتشار الإدمان:

إن لإدمان الكحول كغيره من الظواهر الاجتماعية السيئة أسباب وعوامل تساعد على انتشاره في المجتمعات الحديثة .

وهذه العوامل منها ما يعود لطبيعة المادة وتوفرها ، ومنها ما يعود لشخصية الفرد وطبيعته، ومنها ما يعود للبيئة المحيطة به والنظم و الشرائع والقوانين والأعراف السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه .

فيما يتعلق بطبيعة المادة وتوفرها:

هناك الكثير من العوامل المتعلقة بالكحول نفسه كمادة من حيث التركيب وطريقة الاستعمال و توفر المواد اللازمة لإنتاجه وسهولة الحصول عليها .

❖ **التركيب الكيميائي وطريقة الاستعمال:**

يختلف تفاعل الخلايا العصبية مع مادة الإدمان باختلاف التركيب الكيميائي وطرق ووسائل التعاطي والاستعمال، وأسرع الوسائل لحصول الإدمان الحقن الوريدية (المخدرات) ثم التعاطي عن طريق الفم ثم التدخين أو استنشاق الأبخرة، ولذلك يتأخر إدمان الكحول عن إدمان المخدرات بوقت ملموس .

❖ توفر المواد اللازمة لإنتاج الكحول وسهولة الحصول عليها .

ومما يساعد على انتشار إدمان الكحول من حيث المادة العوامل الآتية:

- توفر المواد الأولية لتحضيرها أو تصنيعها ، فالمصادر كثيرة ومنها المواد السكرية بكافّة أشكالها كالأعناب والتمور والعصائر والعسل والمواد النشوية كالذرة والأرز والحبوب الأخرى كالحنطة والشعير وحتى نشارة الخشب التي تصنع منها الخمور الرديئة والسامة لاحتوائها على الكحول الميثيلي السام .
- سهولة التصنيع وعدم الحاجة لكثير من الأجهزة والوسائل .
- إمكانية التصنيع في السر وعلى صعيد فردي .

❖ **الجهل بأضرار المادة وآثارها المختلفة:**

يلعب الجهل بآثار الكحول الضارة المبكّرة والمتأخرة على جسم الإنسان وأعضائه المختلفة دوراً أساسياً في انتشار الإدمان. فالغالبية من المدمنين قد تعلم الضرر العام للكحول مجملاً ولكنها تجهل هذا الضرر تفصيلاً، خصوصاً وأن الكثير من آثاره لا يظهر إلا بعد سنوات من التعاطي المستمر .

ومن هنا تبرز أهمية نشر الوعي الصحي وبيان أخطار الإدمان من خلال حملات التوعية والمحاضرات والنشرات الطبيّة والإحصائيات التي تبين أضرار الإدمان وآثاره السلبية .

فيما يتعلق بالفرد:

من العوامل المهمة أيضاً في انتشار إدمان الكحول الخصائص والمميزات الفردية والأمراض النفسية والجسدية والحالة الاجتماعية والمالية للشخص .

❖ العوامل الوراثية:

بالرغم من عدم توفر الأدلة القوية على انتقال الإدمان بالوراثة إلا أن الإحصائيات تشير إلى أن أطفال المدمنين أكثر عُرضة للإدمان من غيرهم بنسبة أربعة أضعاف وأكثر[١] .

وتبين بعض الإحصائيات عن انتشار الإدمان في أقارب المدمنين النتائج التالية [٢]:

الأقرباء	نسبة الإدمان
آباء	١٧ إلى ٥٣ بالمائة
أمهات	٢ إلى ١٢ بالمائة
أشقّاء	٢١ إلى ٣٠ بالمائة
شقيقات	١ إلى ٤ بالمائة

❖**الشخصية والأمراض النفسية والجسدية:**

تلعب شخصية الإنسان وأمراضه النفسية كالقلق والعدائية والاكتئاب والأمراض الجنسية دوراً مهماً في انتشار الإدمان، وذلك لما يتوهم المدمن من راحة وعلاج لتلك الأمراض . وكذلك الأمراض الجسدية، وذلك للهروب من الإحساس بالألم والنقص والإعاقة .

---

[١] Children of Alcoholics.

[٢] الإدمان . مظاهره وعلاجه . د.عادل الدمرداش .

❖ **النوع:**

تشير الإحصائيات إلى أن نسبة المدمنين من الرجال إلى المدمنات من النساء يبلغ خمسة أضعاف وذلك لأسباب عديدة .

❖ **الحالة والطبقة الاجتماعية:**

ينتشر الإدمان بصورة أوسع بين الذين يعانون من الوحدة مثل المطلّقين والعزاب والأرامل، وكذلك بين أفراد الطبقات الموسرة والعليا وذلك لتوفر ثمن الخمور وسهولة الحصول عليها خصوصاً في المجتمعات التي تضع القيود والضرائب على الخمور والمشروبات الكحولية .

فيما يتعلق بالبيئة والمحيط:

تؤثر البيئة التي تحيط بالإنسان والمجتمع الذي يعيش فيه تأثيراً بالغاً في انتشار الإدمان، ومن ذلك الأسرة والتربية والدين والعادات والتقاليد والنُظُم الاجتماعية والقوانين السائدة والأوضاع الاقتصادية .

❖**الأسرة والتربية:**

تلعب الأسرة وبالأخص الوالدان دوراً أساسياً في تأصيل العادات والممارسات في نفوس الأولاد فينشؤون عليها. فالولد عندما يرى والديه يشربان الخمر ولو في المناسبات يألف شرب الخمر ويتكّون لديه شعور وهمي باللذة والنضوج وربما يدفع الوالدان الولدَ إلى شرب الخمر حتى ولو لم يستسيغها بادئ الأمر .

يقول الشاعر:

ينشأ ناشئ الفتيان منّا　　　على ما كان عوَّدَه أبوه

ولذلك ينتشر إدمان الكحول في المجتمعات الغربية أكثر من الشرقية حيث لا يشجّع الوضع الأُسَري على تعاطي الخمور إلا في حدود ضيقة.

❖**الدين:**

من المسلّم به أن الدِّين هو أكثر العوامل تأثيراً في الحد من تعاطي الخمور، والدِّين الإسلامي يحرّم شرب الخمر ويوجبُ الحدَ على شاربها ويحرِّم الإتجار بها وصناعتها وتسهيل تعاطيها .

❖ **العادات والتقاليد:**

تختلف نظرة المجتمعات إلى الخمر، فمنها التي تراها من الكبائر وذلك من منطلق ديني وشرعي كالمجتمعات الإسلامية المحافظة، ومنها التي تراها عادة منكرة ومضرة صحياً ونفسياً واجتماعياً، ومنها التي تراها حاجة اجتماعية وترفيهية بل ضرورة. وفي المجتمعات الغربية تقترن معظم المناسبات بتناول المشروبات الكحولية، ويحتوي الكثير من الأطعمة والوجبات على الخمور وبالأخص النبيذ.

❖ **الشرائع والقوانين:**

تؤثر الشرائع والقوانين المعمول بها في الحد من انتشار تعاطي الكحول، وبالأخص الشريعة الإسلامية نظراً للعقوبات التي تُطبق على شارب الخمر والمتعامل بها .

والقوانين الوضعية سواء الغربية أو الشرقية تحتوي على فقرات جزائية على الإسراف في تعاطي الخمور، وتنظم تعاطيها والتعامل بها، مثل فرض الضرائب وتحديد الأماكن والأوقات المسموح فيها بشربها وبيعها. وبعض الدول لا تجيز الإتجار بها إلا من خلال إجازات ورخص تصدرها السلطات المختصة .

❖ **عدم توفر العناية الصحية والمصحات:**

تُهمل الكثير من الدول والمجتمعات توفير العناية الصحية ومراكز الاستشفاء والمصحات لمدمني الكحول، وكذلك مراكز التوعية الصحية والإرشاد الاجتماعي. ويساهم هذا الفراغ في انتشار الإدمان نتيجةً للجهل وانعدام الرعاية والتوجيه .

❖ **العوامل الاقتصادية:**

تساهم العوامل الاقتصادية في بروز ظاهرة الإدمان وبالأخص في فترات الحروب والكوارث الطبيعية وانتشار البطالة وعدم توافر فرص العمل .

وسائل الحد من انتشار الإدمان:

لـمّا تَبَيَّن لنا من الفصول السابقة أخطار إدمان الكحول الصحية والاقتصادية والاجتماعية، كان لابد من وضع الخطط والبرامج لمواجهته والحد من انتشاره. وأهم العوامل التي تساعد على ذلك:

١) تقوية الرادع والوازع الديني والأخلاقي في المجتمع .

٢) التوعية وبيان أخطار الإدمان وآثاره المختلفة .

٣) سن القوانين الجزائية من خلال الأحكام الشرعية للخمر وتطبيقها .
٤) توفير مناخ اقتصادي سليم والحد من البطالة والمشاكل الاجتماعية .
٥) توفير أماكن الرعاية الصحية والعلاج من الإدمان .

تقوية الرادع والوازع الديني والأخلاقي:

إن من أهم العوامل التي تساعد على محاربة إدمان الكحول تنمية وتقوية الرادع والوازع الديني و الأخلاقي والوقوف عند حدود الله تعالى، وبيان أن الأحكام الشرعية والأوامر والنواهي الربانية مدارها المحافظة على الدين والعقل والنفس والمال والنسل، وأن الانصياع للأحكام الشرعية من شأنه درء المفاسد و جلب المصالح والمنافع، وأن الله تعالى لم يحرّم علينا الخمر عقوبةً لنا كما حرّم بعض الطيبات على بني إسرائيل، وإنما حرّمها لخبثها فهي أم الخبائث .

يقول المؤرخ الإنكليزي أرنولد توينبي في كتابه " محاكمة حضارة ":

إن الإسلام هو الوحيد الذي يستطيع أن ينقذ الإنسانية من رِبقة استعباد الكحول .

التوعية وبيان أخطار الإدمان وآثاره المختلفة

ومن أهم وسائل محاربة إدمان الكحول نشر التوعية الصحية والاجتماعية، وبيان أضرار الخمر والكحول على الفرد والمجتمع وذلك من خلال الأمور التالية:

❖ نشر الأبحاث الطبية والعلمية التي تبيّن المضار والمفاسد العاجلة والآجلة للكحول، وكذلك التقارير الطبية عن الوفيّات التي يكون إدمان الكحول السبب المباشر أو غير المباشر لها .

❖ التوعية بآثار الإدمان على الحياة الاجتماعية والأُسَرية وانعكاساته الخطيرة على أطفال المدمنين و أقاربهم والمجتمع بشكل عام .

❖ بيان الآثار الاقتصادية للإدمان على الفرد والمجتمع وذلك بإعداد النشرات والتقارير عن الخسائر الاقتصادية المترتبة عن الإدمان على الصعيدين الفردي والعام، و نشر هذه التقارير لكي يتسنى لأفراد المجتمع بكافة فئاتهم الاطلاع على هذه الخسائر.

سن القوانين الجزائية من خلال الأحكام الشرعية للخمر وتطبيقها:

ومن الوسائل الضرورية للقضاء أو الحد من إدمان الكحول تطبيق الأحكام والقوانين الخاصة بتعاطي الخمور وصنعها، وذلك من خلال:

❖ وضع القيود على صناعة الخمور والمشروبات الكحولية بكافة أشكالها واقتنائها وشرائها وبيعها وحملها وبالجملة كل وسيلة تؤدي إلى تعاطيها وانتشارها .

❖ وضع ضوابط وقيود على تجارة وتداول المواد والأدوية التي تحتوي على نسبة كبيرة من الكحول وذلك من مبدأ سد الذرائع ولكيلا تستخدم هذه المواد في تحضير أو تصنيع المشروبات الكحولية .

توفير مناخ اقتصادي سليم والحد من البطالة والمشاكل الاجتماعية:

ومن وسائل محاربة الإدمان توفير مناخ اقتصادي سليم للحد من البطالة و الفقر وسد الذرائع أمام الباحثين عن المال والغنى غير المشروع من خلال المتاجرة بالخبائث. كما وأن الاقتصاد السليم وتوفير فرص العمل للجميع يقلّل من المشاكل الاجتماعية والعائلية التي من شأنها المساهمة في انتشار الإدمان .

توفير أماكن الرعاية الصحية والعلاج من الإدمان:

وذلك بالعمل على:

❖ إنشاء وحدات علاجية لمدمني الخمور والكحول مزوّدة بالأطباء الأخصائيين والأجهزة الضرورية لمعالجتهم مثل المصحات والعيادات والمستشفيات .

❖ توفير أماكن الرعاية الاجتماعية للمدمنين لمساعدتهم على تخطي الفترات الأولى لهجر الإدمان .

❖ متابعة المدمنين السابقين لضمان عدم عودتهم إلى الإدمان ومساعدتهم على استعادة أوضاعهم المهنية والاجتماعية .



